

قتال السويس

١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩

فتح قنال السويس . بعد ستين سنة

مهرجانه افتتاحه

في مثل هذا اليوم من شهر نوفمبر سنة ١٨٦٩ وقع حادث من اكبر حوادث الدهر كان له اثر من اكبر الآثار في العلاقات السياسية والتجارية والمالية لدول العالم . ذلك الحادث هو فتح قنال السويس

شهد حفلة افتتاح قنال السويس ستة آلاف شخص من ذوي الخيليات الرفيعة . منهم الامبراطورة أوجيني زوجة نابليون الثالث امبراطور فرنسا . وامبراطور وامبراطورة النمسا والمجر . وولي عهد بريطانيا (الملك ادوارد السابع) وزوجته . وأمير وأميرة هولانده . وولي عهد بروسيا . والامير غليوم صاحب أمارة هيس . والفرانكوف ميثيل نائباً عن قيصر روسيا . والأمير عبد القادر الجزائري المشهور . وكان الخديوي اسماعيل ووزيره الاكبر نوبار علي ظهر الباخرة « محروسة » يستقبلان وفود الامراء والعلماء والكبراء الذين جاءوا من كل حدب ليشهدوا حادثاً من اعظم الحوادث التاريخية التي وقعت في القرن التاسع عشر

ويقول المؤرخون أن مهرجان افتتاح القنال كان أشبه شيء بروايات ألف ليلة وليلة . انفق فيه اسماعيل باشا القناطير المقطرة من الذهب والفضة وبلغ البذخ فيه مبلغاً لا تتصوره مخيلة انسان

من ضمن ما عمله لتسرية خواطر الزائرين انه انشأ دار الاوبرا القائمة الآن في وسط القاهرة . اتم بناءها في خمسة شهور وأنفق على بنائها ١٦٠.٠٠٠ جنيه . ثم أوصى في أوربا بصنع أزياء المشخصين ومناظر المسرح وأثاثاته وبلغ ما دفعه ثمناً لها ٤٠.٠٠٠ جنيه . وفي أول نوفمبر سنة ١٨٦٩ افتتح دار الاوبرا وكانت أول رواية مثلت رواية ريجوليتو Rigoletto . ثم كلف مارييت باشا بأن يستخرج له من تاريخ الفراعنة قصة تكون موضوع رواية تشخص في الاوبرا فكانت رواية « عائدة » .

واستدعى فردى Verdi الموسيقى الايطالى الشهير لعمل الحان الرواية . وعندما أتمها نفحه بمبلغ ٦٠٠٠ جنيه اتعاباً . كذلك انشأ الطريق الذى يوصل القاهرة باهرام الجزيرة فأتمه فى خمسة أسابيع واستخدم لأتمامه ١٠٠٠٠٠ نفس . وقد بلغت نفقات الحفلات التى أقامها اسماعيل باشا مبلغ ١٤٠٠٠٠٠٠ جنيه . اذا أضفت إليها النفقات الأخرى التى استلزمها حفر القنال والأعمال التى استلزمها استعدادات المهرجان من فتح شوارع وإنشاء ميادين وتشيد قصور كان المجموع ٤٠٠٠٠٠٠٠ من الجنيهات .

واسماعيل باشا هو الذى أنشأ حى الاسماعيليه والتوفيقيه وعابدين وحديقة الازبكية وكوبرى قصر النيل ومدينة الاسماعيليه ، وبني قصر الجزيرة وقد كلفه ١٣٩٣٣٧٤ جنيهًا ، وقصر عابدين ٦٧٠٦٦٥ جنيهًا ، وقصر الجزيرة ٦٩١٨٩٨ جنيهًا ، وقصر الاسماعيليه وقد كلفه ١٠١٨٦١٠١ جنيهًا ، وقصر القبة وقصر حلوان وقصرى الرمل . وجدد سرايات رأس التين وقصر النيل والقائمة والنزهة وشبرا ، وبلغت تكاليف النقوش والزخارف فى سرايات الجزيرة والجزيرة وعابدين وحدها نيفاً ومليونين من الجنيهات . وبلغ ثمن الستارة الواحدة ١٠٠٠ جنيه مصرى . وبلغت تكاليف القصور التى شيدها فى عهده ٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه . ويقول الخبيرون ان القنال كلف مصر وحدها ١٧٠٠٠٠٠٠٠٠ من الجنيهات - مع ان تكاليف حفر القنال كلها حتى يوم الاحتفال بافتتاحه لم تبلغ سوى ٣٦٩٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ فرنك ذهب (أى ١٤٠٧٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠ مليون جنيه) ولا تعجب لبذخ اسماعيل باشا فان الملايين من الجنيهات ما كانت فى نظره شيئاً مذكوراً وما كان يتردد لحظة فى انفاق الاموال الطائلة لتحقيق أغراضه . ألا تذكر أنه فى سبتمبر سنة ١٨٧٢ رشا السلطان نفسه بمبلغ ٩٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه ، والصدر الاعظم بمبلغ ٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه ، ووزير الحرية بمبلغ ١٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه ، ووزع ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه على موظفى السراى الشاهانية ليحصل على فرمان يخوله حق عقد القروض بلا قيد ولا شرط - وقد صدر فرمان بالفعل من السلطان رأساً بدون علم الباب العالى . ألا تذكر أنه نفح فؤاد باشا الصدر الاعظم بمبلغ ٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه عندما حضر الى مصر مع السلطان عبد العزيز . ألا تذكر أنه أنفق نيفاً وثلاثة ملايين من الجنيهات فى سبيل الحصول على لقب « خديوى » وعلى فرمان بحصر الوراثه فى ذريته

ومظاهر الابهة والفخامة والجلال التي كان عليها « الخديوى الصغير » اسماعيل باشا المقتش تشير فى ذهناك صورة من مظاهر الابهة والفخامة والجلال التي كان عليها « الخديوى الكبير » اسماعيل باشا الخديوى . أحصوا فوجدوا الاطيان التي ملكها اسماعيل باشا المقتش ٣٠.٠٠٠ فدان من أخصب الاطيان العشورية . وعدوا له ثلاث قصور فخمة فى القاهرة فى وسط حدائق غناء قائمة فى أرض لا تقل مساحتها عن مساحة الاراضى القائمة عليها اهرام الجيزة الثلاثة . وبنى قصرًا بديعًا على ضفاف المحمودية مؤتمنًا بأفخر الاثاث والرياش . وبلغت قيمة المجوهرات التي اقتناها ٦٥٠.٠٠٠ جنيه . وقيمة الاسلحة والاوراق المالية ٥٠٠.٠٠٠ جنيه . وترك من الجوارى ٧٠٠ جارية مابين شركسية وحبشية وسودانية . أما نسائه فكان ٣٦ مابين شرعيات وسرارى، وكان لكل واحدة منهن ست جوارى بيض وبعض جوار سود مخصصات لخدمتها . وعندما بيعت مخلفات اسماعيل باشا المقتش بالمزاد العلنى بيعت بعض الاحزمة الذهبية المرصعة بالماس بمبلغ ٧٠٠.٠٠٠ جنيه الواحدة . وبلغ ثمن احدى مراوح زوجة من زوجاته ١٥٠.٠٠٠ جنيه . وثن شمسية من شماسيها ٢٤٠.٠٠٠ جنيه . وقدرت اللجنة الدولية ثروة اسماعيل باشا المقتش بمبلغ ٣.٠٠٠.٠٠٠ جنيه . كل هذه الثروة جمعها هذا « الخديوى الصغير » فى عشر سنوات . أما « الخديوى الكبير » فنذكر عنه رقبين فقط ومن هذين الرقبين يمكن للتارىء أن يتصور مبلغ البذخ الذى كان عليه هذا الماهل الكبير .

الاول ، بلغ مجموع القروض التي استدانها مصر من سنة ١٨٦٢ لغاية سنة ١٨٧٣ مبلغ ٦٨٤٩٧.٠٠٠ جنيه . هل تعرف كم دخل خزانة مصر بالفعل من هذا المبلغ الطائل ؟ لم يدخل منه سوى ٤٣٧٨٧.٠٠٠ جنيه - والفرق ٢٤٧١٠.٠٠٠ جنيه ذهب عمولة وسمسة ورشوة . وهل تعرف كم دفعت مصر فوائد عن هذا الدين فى مدة ١٣ سنة ؟ دفعت ٢٩٥٧٠.٠٠٠ جنيهًا . فكأن هذه القروض البالغ مجموعها بالفعل ٤٣٧٨٧.٠٠٠ جنيه دفعت عنها مصرف فى ١٣ سنة فقط ٢٨٠.٠٠٠ ر ٥٤٢٨.٠٠٠ جنيهًا فوائد وسمسة وعمولة ورشوة . ومع هذا بقى أصل الدين كما كان ٦٨٤٩٧.٠٠٠ جنيه

الثاني ، وجدوا أمراً بصرف مبلغ ١٥٠.٠٠٠ جنيه انجليزي سداداً لحساب خياطة فرنساوية ثمن ملابس وردتها لاحدى كريكات المففور له اسماعيل باشا .

هذه بعض أرقام تقرب الى ذهنيك ما كان عليه الاسراف والبذخ في ذلك العهد . فلا تعجب اذن اذا قيل لك أن مهرجان افتتاح القنال كلف اسماعيل باشا ١٤٠٠.٠٠٠ جنيه — وان نصيب مصرفي نفقات حفر القنال وفيما تفرع عنه قد بلغ ١٧٠٠.٠٠٠ من الجنيهات

ومن دلائل عظمة المهرجان ان بلغ عدد السفن الحربية وغير الحربية التي اشتركت في هذا المهرجان العظيم ٦١ سفينة — منها ١٤ انجليزية و ١١ فرنسوية و ٧ مصرية و ٣ بروسية وسفيتان هولانديتان وسفينة سويدية وواحدة دانيمركية وأخرى اسبانية . دخلت كايا قنال السويس بين مسلتين كبيرتين اقيمتا على مدخل القنال . وكانت السفينة الفرنسية « النسر » الملقاة امبراطورة فرنسا مع مسيو دلسبس وعائلته تتقدم السفن جميعها

ومن حسن المصادفات أن مسيو دلسبس كان قد عقد خطبته على آتية فرنسوية دعاها هي وعائلتها الى حفلة الافتتاح . وكان اميل زولا الكاتب الفرنسي الشهير حاضراً الحفلة مندوباً عن جريدة الفيغارو الفرنسية . فنظر الى دلسبس وقال « أن دلسبس آثم الآن الوصال بين البحرين الالبيض والاحمر فلم يبق الا ان يتم وصاله هو أيضاً » . وأرسل رجل من أميركا الى دلسبس تلغرافاً كله ايجاز واعجاز — قال فيه « كنت أقوى منا » اشارة الى أن دلسبس آثم حفر « قنال السويس » بينما الامريكان عجزوا عن حفر « قنال بناما »

كلوت بك والقنال

ألف كلوت بك المشهور كتاباً نفيساً جداً عن مصر — ظهر في سنة ١٨٤٠ وقت ان كان المغفور له محمد علي باشا لا يزال حياً يرزق . واليك ما قاله عن وصل البحرين الالبيض والاحمر :

“L'importance de cette communication, quoiqu'elle n'ait jamais été aussi grande qu'à notre époque, a été sentie de tout temps. Le grand Sésostris paraît avoir été le premier qui ait conçu le projet de faire communiquer les deux mers par un canal. Il donna à cette entreprise un commencement d'exécution; il lia le Nil à la mer Rouge par un canal qui, d'après Diodore de Sicile, s'étendait depuis Memphis jusqu'à Clymas. Plus tard, un de ses successeurs, Néchos, s'occupa aussi de cette jonction qui ne fut point terminée. D'après Hérodote, les premiers travaux, qui coûtèrent la vie à cent vingt mille hommes, furent arrêtés sur la réponse de l'oracle qui, consulté par Néchos, lui dit " que la construction du canal projeté ouvrait aux étrangers l'invasion de l'Égypte." Le projet de l'entreprise de Néchos fut, sous la direction des Perses, continué par Darius, fils d'Hyspaspes, et enfin terminé par Ptolémée Philadelphe, qui lui donna son nom. Strabon rapporte qu'il le fit garnir de barrières très ingénieuses qu'on ouvrait pour laisser passer les vaisseaux et qu'on refermait ensuite très promptement; ce canal, au dire de Pline et de Strabon, était large de cent coudées, avait une profondeur de trente pieds et cinquante lieues de longueur. Il permettait une libre navigation aux vaisseaux à voiles qui pouvaient se croiser sans accident, pouvaient y marcher de front et parcourir le trajet pendant deux ou trois jours. Ce canal, qui porta le nom de canalis Ptolomaeus, partait de la branche pélusienne du Nil, au-dessous de Bubaste, non loin du Delta, et allait se rendre à Assinie, ville bâtie sur la pointe la plus septentrionale du golfe Arabique. Ainsi que nous l'avons vu, il traversait, à moitié chemin, le lac Amer, de même que le Rhône traverse le lac de Genève. Les vaisseaux de la mer Rouge, arrivés à la branche pélusienne du Nil, pouvaient descendre dans tous les ports égyptiens de la Méditerranée ou remonter le fleuve jusqu'à Memphis et de là jusqu'à Thèbes. Le canal de Ptolémée, fournissant aussi une irrigation abondante dans la ligne la plus étendue de l'isthme de Suez, fertilisa ce territoire qui se couvrit bientôt d'opulentes cités. En partant de la branche pélusienne, on trouvait à gauche la ville d'Heroopolis, plus loin Bubastis, Phagroriopolis, ainsi que Serapeum, non loin d'Arsinoé.

“Sous l'empire des Romains, Trajan renouvela ce canal, et y ajouta même une branche qui arrivait à quelques stades au-dessous de Memphis. Cette prolongation du canal portait le nom de Trajan, et se trouve explicitement indiquée dans le passage suivant de Ptolémée : “Entre

Héliopolis et Babylone coule le fleuve Trajan (annus Trajanus)." Quinte-Curce le nomme Oxins, et les Arabes Merahemî. Macrisi, dans son Histoire d'Égypte, attribue ce canal à Adrien César. Enfin, il n'y a pas jusqu'aux Arabes qui n'aient suivi un pareil exemple.

"L'historien Elmacin rapporte que, sous le califat d'Omar, les villes de la Mecque et de Médine souffrant de la disette, ce calife ordonna au gouverneur d'Égypte, Amrou, de tirer un canal du Nil à Colzoum (ancien Clysma), afin de faire passer désormais par cette voie les contributions de blé et d'orge destinées à l'Arabie. — Amrou exécuta cette grande entreprise et donna à ce canal le nom de Fleuve du prince des fidèles. Volney rapporte que, cent trente-quatre ans après, le calife Abou-Djaffar-el-Mansour le fit obstruer afin de couper les vivres à un descendant d'Ali, révolté à Médine. Depuis ce temps-là il n'a pas été rouvert. Ce canal, dont il existe encore une portion qui prend le nom de Kalig, prend son point de départ du Nil à l'extrémité du vieux Caire, tout près du Château d'Eau, traverse le grand Caire et va se perdre à quatre lieues plus loin, au nord-est du lac des Pèlerins; Birket-el-Hadji. C'est ce même canal qu'on ouvre tous les ans, avec solennité, lors de la crue des eaux du Nil. Savary prétend avec son exagération habituelle, que ce canal ayant été taillé dans le rocher l'espace de vingt-quatre lieues, on pourrait aisément en ôter le limon et le sable, dans le cas où l'on voudrait rouvrir l'importante communication du Nil avec la Mer Rouge.

"Les ingénieurs français, pendant l'expédition d'Égypte, ont constaté la direction et les dimensions de l'ancien canal, le nivellement du terrain entre Suez, le Caire et Peluse, et ont présenté les bases du projet du canal de Suez au Caire, qui serait alimenté des eaux du Nil pendant les crues.

"Mais le Nil, du Caire à Alexandrie, à Damiette et à Rosette, n'est navigable, pour les grandes barques, que pendant six mois; et le grand canal, lui-même, n'aurait un mouillage suffisant que pendant le même temps.

Le canal de jonction des deux mers par le Nil ne serait donc qu'un canal pour ainsi dire égyptien, que les bâtiments marchands étrangers ne pourraient traverser. Sans doute, ainsi exécuté, il serait encore très utile, mais il ne donnerait pas ces résultats grandioses qu'attend le monde de la jonction des deux mers.

"Nous envisageons l'entreprise dans un but plus général; elle doit, selon nous, satisfaire à la condition d'admettre les grands bâtiments des

Indes les vaisseaux de ligne de premier rang, et les bâtiments à vapeur des plus grandes dimensions. Pour atteindre ces divers résultats, il faut donner au grand canal vingt mètres de largeur de plafond, dix mètres de profondeur totale, et seize mètres de passage aux écluses et sas.

" Ces données du problème exigent impérieusement que le canal de jonction des deux mers soit dirigé de Suez à Peluse, et que des dispositions soient prises pour surmonter tous les divers obstacles qui ont fait envisager cette entreprise comme impraticable, en raison de l'étendue des marais, de la mobilité des sables et du peu de profondeur de la Méditerranée à Peluse, appuyé de l'expérience et de l'opinion de M. Cordier, qui a approfondi la question, nous considérons la solution de ces difficultés comme très-certaine.

" Dans le cas de succès, l'ouverture du canal des deux mers, pour les plus grands navires, de trente-cinq lieues de longueur, exécuté en cinq ans, opérerait une révolution commerciale dans les relations de l'Europe et de l'Inde; en l'accomplissant, le vice-roi mériterait de la reconnaissance des peuples une gloire immortelle."

محمد بن نابرت والقنال

رحمة بن نابرت على مصر كان لها حسنات كما كان لها سيئات. من سيئاتها الاعتداء على شعب آمن وقتل كثير من الأبرياء وتخريب كثير من الآثار وسفك دماء ذهب دافعاً عن الحرية والاستقلال. أما حسناتها فكثيرة - أهمها العثور على حجر رشيد ومنه استطاع العلامة شامليون حل رموز اللغة الهيروغليفية فانفتح أمام العلماء باب واسع جداً لمعرفة تاريخ مصر القديم. ومنها درس مشروع حفر القنال بواسطة لجنة من كبار المهندسين، ومن أعمالهم وتقاريرهم وأبحاثهم توصل فرديناند دلبس إلى حفر قنال السويس. ومنها درس شؤون مصر الجغرافية والطبغرافية والتاريخية والعمرانية، ووضع كتاب جامع مانع عنها بمعرفة لجنة من كبار العلماء لا يزال مرجع الباحثين حتى اليوم. وقد ظهر هذا الكتاب الجليل في سنة ١٨٠٩ تحت رعاية نابليون نفسه. ومنها إنشاء المجمع العلمي الذي لا يزال قائماً حتى الآن. ومنها نقل الطباعة إلى مصر، لأن بن نابرت استحضر معه من باريس ومن روما جميع الأدوات

اللازمة لإنشاء مطبعة كبيرة في مصر، وعندما غادر القطار المصري تركيا، فكانت النواة الأولى للطباعة في مصر. ومن الطباعة ولدت الصحافة التي أصبح لها شأن عظيم جداً في القطار المصري. وكانت أول جريدة ظهرت في عهده جريدة Courrier de l'Egypte. ظهر العدد الأول منها في ٢٩ أغسطس سنة ١٧٩٨، ثم ظهرت جريدة Décade Egyptienne وصدر أول عدد منها يوم أول أكتوبر سنة ١٧٩٨. وفي سنة ١٧٩٩ ظهرت «الحوادث اليومية» التي ورد ذكرها في الجبرتي، ثم ظهرت جريدة «التنبيه». وفي مدة ولاية محمد علي باشا ظهرت «الوقائع المصرية» وكان ظهورها في سنة ١٨٢٨. ومن تاريخ ظهور الجرائد في مصر بدأت النهضة المصرية بكيفية رائعة.

بونابرت والقنال

قال المؤرخ الفرنسي ادوار جوان حكاية عن أول استكشاف اجراه بونابرت في منطقة القنال ما يأتي (وكان كثيراً ما يتردد بخاطر بونابرت ميل الى التغلب في البحار على السيادة الانكليزية فيها. فأراد أن يوصل بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي بحفر برزخ السويس، وأن يتخذ هذا الطريق البحري طريقاً عسكرياً الى بنفاله للقضاء فيها على خصوم الجمهورية. فجاء ذات يوم الى هذا البرزخ يحف به أعضاء المجمع العلمي لاستكشاف آثار التربة القديمة التي كانت مخفورة في قديم الزمان لوصول البحريين. وقد وضع بنفسه العلامات على ماظهر من آثارها بالطرف الشمالي من الخليج العربي في المكان الذي كانت قائمة به مدينة (أرسينوه). ثم سار على الجسور البارزة القريبة من الساحل مدة ثلاثة أرباع الساعة مجتازاً نحو الخمسة فراسخ حتى وصل الى الحد الجنوبي الشرقي من البحيرات. ثم وجه وجهه أبحاثه نحو الطرف الآخر فاجتاز بالجهة الشمالية الغربية وعلى امتداد عشرة فراسخ، وادى طوميلات، غير أنه اضطر في أثناء ذلك الى العودة الى القاهرة للزحف منها على الانكليز، وعهد باتمام أبحاثه الى من كانوا معه من رفاقه. ومما لاحظته الجمعية العلمية ان أعظم عرض للتربة القديمة كان لا يتجاوز ٣٥ متراً الى ٤٠، وان عمقه يختلف من أربعة أمتار الى خمسة.

والمعروف ان الخلفاء الفاطميين هم الذين حفروا هذه التربة التي أراد قائد الجيش الفرنسي اعادة حفرها ليتخذها كما كان يقول قبراً للتجارة الانجليزية

«وبعد ان عبر بونابرت البحر الاحمر من مخاضة كان السير فيها ممكناً وقتئذ، أوغل في البر الى مسافة فرسخ واحد ليزور عيون موسى، وهناك بحث طويلاً في هذه الثماني عيون التي كان الماء ينبثق منها ساخناً، والذي يذهب اليه أهل هذه البلاد ان هذا المكان هو الذي ضرب فيه ذلك النبي العبري الحجر فانفجرت منه تلك العيون التي يتفجر الماء منها ساخناً تقيماً. ولما أراد القائد العام العودة من هذا المكان، وجد المخاضة قد غمرت بماء المد فانطلق يبحث عن مخاضة أخرى، واضطر أن يصعد الى أقصى الخليج بقصد التماس مسلك يؤدي الى الجهة التي كان يقصد اليها، غير أن الادلاء أخطأوا الحساب فيما يتعلق بامتداد المد، فنشأ عن ارتفاع الماء خطر كاد يؤدي الى كارثة عظيمة. وذلك لأن أحد العساكر حمل الجنرال بونابرت شجاة على كتفيه وحاول أن يجتاز المخاضة فكاد يبعث به الى قاع اليم ويلحقه فيها بفرعون موسى»

سنة ١٧٦٩ و ١٨٦٩

ولد محمد علي باشا في سنة ١٧٦٩ وفتح القنال في سنة ١٨٦٩ وبين التاريخين مائة سنة. و نابليون كذلك ولد في سنة ١٧٦٩ ومثله ولنجتون الانجليزى. فكأن فتح القنال وقع في العيد المئوى لميلاد محمد باشا الكبير - وميلاد نابليون - وميلاد ولنجتون. وقعت هذه المصادفات الغريبة ولم يفطن لها أحد، والا لكان العيد عيد مولد محمد علي باشا (عند المصريين) وعيد مولد نابليون (عند الفرنسيين) وعيد مولد ولنجتون (عند الانجليز) وعيد افتتاح القنال (عند العالم بأسره)

محمد علي ووالده دلسبس

كان أبو دلسبس قنصلاً لفرنسا في مصر، فتوثقت عرى المودة بينه وبين محمد علي باشا الكبير. ومهدت مودة الأبوين الصداقة المتينة بين الأبنين - فرديناند ابن دلسبس

وسعيد ابن محمد علي باشا ، على حد قول بعضهم (مودة الآباء قرابة بين الأبناء)
إذ أن المغفور له سعيد باشا كان يحب فرديناند دلسبس جدا ، وكان يثق به ثقة
لا حد لها . وكما كان والد دلسبس قنصلا لفرنسا في مصر كذلك كان ابنه من بعده
قنصلا لفرنسا في ثغر الاسكندرية وفي مصر القاهرة . ولما مثل فرديناند دلسبس امام
ساكن الجنان محمد علي باشا لأول مرة التفت محمد علي الى رجال حاشيته وقال مخاطباً
دلسبس « إذا كنت أنا ما أنا اليوم فالفضل لأبيك . فاعتمد علي في كل ما تريد »

يشير محمد علي بهذا الى الحادثة الآتية : -

كانت فرنسا قد أرسلت والد فرديناند دلسبس الى مصر ليكون فيها ممثلاً سياسياً .
فاشتدت المودة بين محمد علي باشا وبين والد دلسبس لدرجة أن والد دلسبس أشار
على حكومة فرنسا أن تطلب من الباب العالي الموافقة على تعيين محمد علي باشا والياً
على مصر بناء على أنه أقدر الزعماء الذين يستطيعون وضع حد للفوضى الضاربة أطنابها
في مصر . وها ما كتبه (اني اعتقد أن البكباشي محمد علي هو أقدر الزعماء الحاليين في
مصر . وهو وحده الذي يستطيع وضع حد للفوضى الفاشية في البلاد) . ويقول المؤرخون
أن هذا الرأي الذي بلغ الى سفير فرنسا في الاستانة كان له الأثر الفعال على السلطان
وعلى رجال الباب العالي في الموافقة على اختيار محمد علي والياً على مصر

كيف نشأت فكرة حفر القنال

أما فكرة حفر قنال السويس فنشأت عند فرديناند دلسبس في ظرف غريب .
ذلك أن دلسبس كان قنصلا لفرنسا في بلاد الجزائر . وفي أوائل ابريل سنة ١٨٣٢
نقلته حكومته وكيلا للقنصلية الفرنسية بـثغر الاسكندرية . وعند ما وصلت الباخرة
التي كانت تنقله الى مصر حجر عليها لأن الكوليرا كانت فاشية في فرنسا . وفي
أثناء مقامه في الحجر الصحي أرسل اليه مسيو ميمو قنصل فرنسا العام بـثغر الاسكندرية
طائفة من الكتب اختارها من مكتبة القنصلية الفرنسية بالثغر . فعثر دلسبس من ضمنها
على تقرير المسيو لوبيير Lepère رئيس فرقة المهندسين في حملة نابليون بونابرت على مصر

وسماه (قنال البحرين) وفيه بحث في امكان أو عدم امكان وصل البحرين الايض والاحمر بواسطة حفر قنال السويس . ومن يوم أن أتم دلسبس قراءة تقرير مسيو لويير اختبرت في ذهنه فكرة حفر قنال يوصل البحرين . وانما لم تتمكن الفكرة من نفسه إلا في سنة ١٨٤٩ - وهذه الفكرة هي التي جالت من قبل بخاطر سيقى الاول فرعون مصر . وبخاطر مسيس الثاني . وبخاطر سيزوستريس أيضاً كما أثبت ذلك هيرودوت Herodote أبو التاريخ واسترابون Strabon وديودور الصقلي Diodore de Sicile وبلين Pline العالم الروماني الشهير . وكما جالت أيضاً بخاطر اسكندر الاكبر المقدوني ، وبخاطر يوليوس قيصر ، وبخاطر بعض البطالسة ، وبخاطر لويس التاسع ملك فرنسا (الذي هزمه وأسره المصريون في معركة المنصورة سنة ١٢٥٠ ميلادية) وبخاطر عمرو بن العاص ، وبخاطر نابليون ، وبخاطر محمد علي باشا

ومن الغريب ان لويير المهندس كان قد جزم في تقريره باستحالة حفر القنال واستحالة وصل البحرين فترك نابليون هذا المشروع العظيم وقال «لندعه لتركيا فقد توفى يوماً ما الى تنفيذه فيكون لها الفخر وكل الفخر في تنفيذ هذا المشروع العظيم»

محمد علي والقتال

ففتح محمد علي باشا في أمر فتح القنال فرفض وقال قوله المأثور (اذا فتحت قنال السويس خلقت لمصر بسفوراً آخر يكون مطمع دول أوروبا)

أربع مصارفات لطيفة

-- أولاها . في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٥٤ ظهرت قوس الله ^(١) (قوس قزح) عظيمة جدا في سماء البحيرة متجهة من الشرق الى الغرب لم ير المصريون أزهى وأبهى منها . وعند ما وقع نظر سعيد باشا على هذه القوس لفت نظر دلسبس اليها ، فقال له دلسبس (هي العروة الوثقى التي ستربط الشرق بالغرب . والعروة الوثقى هنا انما قنال

(١) روى عن ابن عباس انه قال لا تقولوا قوس نوح فان نوح اسم شيطان . واسكن قولوا

السويس) وعاد فبسط له تفصيل مشروع حفر قنال السويس كما بسط له المزايا العظيمة التي تمنحها تجارة العالم أجمع من شق الطريق من البحر الأحمر الى البحر الأبيض . فأنصت سعيد باشا الى كلامه وقال له (انى اقتنعت وقيلت مشروعك . واعتبر المسألة قد انتهت . واشتد عليّ فى كل شىء) وقد استعان دلسبس فى تنفيذ أغراضه بالمغفور له ذى الفقار باشا الكبير وكان له حظوة كبرى عند سعيد باشا . وكان دلسبس وذو الفقار باشا محيطين بسعيد فى سراى القبارى احاطة السوار بالمعصم . وماهى الا فترة من الزمان حتى أصدر سعيد باشا فرمان اعطاء امتياز حفر قنال السويس الى دلسبس . وكان ذلك فى يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤

- والثانية . فى يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٥٤ لما وصل دلسبس الى القاهرة سكن فى « سراى المسافرين » ضيفاً على سعيد باشا . وكانت سراى المسافرين هذه هى مقر الجمع العلمى فى أيام حملة بونابرت . وفيها كانت تعقد جلسات اللجنة التى ليطب بها وضع تقرير عن « قنال البحرين » . مصادفة غريبة أنه بعد ٥٠ سنة نزل فى هذه السراى من حقق أمنية لجنة العلماء

- والثالثة . انه عند ما اعتزم سعيد باشا معاينة السويس وأرض القنال سافر هو ودلسبس ومسيير موجيل Mongel ومسيو لينان Linant المهندسين . وكان بين مصر والسويس ١٥ محطة . تغدوا فى الرابعة . وتغشوا فى الثامنة ودخلوا الاخيرة فى ظهر اليوم الثانى . فقطعوا ٣٣ فرسخاً فى الصحارى فى يوم ونصف يوم . وفى مساء وصولهم وهو يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٨٥٤ حدث فى السماء حدث عظيم ألا وهو ظهور ضوء ساطع جداً أضاء نساء السويس وما حولها حتى بهر كل من رآه، فتهال وجه سعيد باشا ووجه دلسبس بشراً وتفاءل منه خيراً

- والرابعة . أن دلسبس عندما أبهر من مرسيليا الى الاسكندرية بعد ما ألف الشركة ، كان اسم الباخرة التى أقلته « اوزيريس » وأوزيريس هذا اسم معبود قدماء المصريين (زوج اريس وابو هوروس) وكان اسمه رمزاً للخيرات والبركات فتغافل دلسبس من هذه المصادفة اللطيفة

دلسبس في السويس

في ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٥٤ كان دلسبس في السويس فدعاه مستروست قنصل إنجلترا في السويس هو وصحبه لتناول العشاء . وكان العشاء مكوناً من لحمة ضأن من كلكتا . وبطاطس من بومباي . وبسلة من إنجلترا . وفراخ من مصر . وماء من الهند . ونبيذ من فرنسا . وقهوة من اليمن . وشاي من الصين . وهناك زار دلسبس المنزل الذي سكنه الجنرال بونايرت

البدء في المشروع

وفي يوم ٢٥ فبراير سنة ١٨٥٩ ضرب دلسبس أول ضربة فأس في أرض القنال ايذاناً بالشروع في العمل . وبعد ١٠ سنوات وتسعة شهور احتفل بمرحان افتتاح قنال السويس . وفي العشر السنوات تم حفر القنال كله وقد بلغ طوله ١٦٤ كيلومتراً ، وفرت على الملاحة ثلاثة آلاف ميل ، لان بين أوروبا والهند ستة آلاف ميل ، فهبطت الى ثلاثة آلاف فقط . وأصبحت تجارة العالم تمر من البحر الابيض الى البحر الاحمر عن طريق قنال السويس ، بعد ان كانت تدور حول رأس الرجاء الصالح فتقطع ثلاثة آلاف ميل زيادة

تمثال لدلسبس

أقامت الشركة في مدخل القنال تمثالا فخما لدلسبس يشرف على القنال وعلى بور سعيد وعلى بور فؤاد . ترى دلسبس واقفاً باسطاً يده اليمنى كأنه يحيي الداخلين والخارجين بالكلمة الماثورة عنه . *Aperire terram gentibus* أي « يجب فتح الارض للعالمين »

تأليف الشركة وجمع الاموال

بعد ان اطمان دلسبس واستحصل على عقد امتياز حفر قنال السويس سعى لجمع

المال اللازم للبدء بالاعمال التمهيدية . فاجتمع في الحال مائة من أصدقائه دفع كل منهم ٢٠٠ جنيه - فجمعوا ٢٠.٠٠٠ جنيه . حدث هذا في سنة ١٨٥٥ وما درى أحد منهم أن الحصة التي كانت قيمتها ٢٠٠ جنيه في البداية سترتفع قيمتها الى حد لا يحلم به مخافوا . اذ أن الحصة بعد ان كانت قيمتها ٢٠٠ جنيه ارتفعت فوصلت في سنة ١٩٠٥ الى ٢٦.٠٠٠ جنيه وهي تساوي اليوم ١٥٠.٠٠٠ جنيه (١٩٦٠.٠٠٠ فرنك) وبعد ان أتم دلسبس الاعمال التمهيدية ألف شركة قنال السويس ، وجعل رأس مالها مكوناً من ٤٠٠.٠٠٠ سهم قيمة كل واحد منها ٢٠ جنيهاً مصرياً ، فيكون رأس المال ٨.٠٠٠.٠٠٠ جنيه . بعد ذلك قسموا السهم نصفين ، فأصبحت اسهم الشركة ٨٠٠.٠٠٠ سهم قيمة السهم الحالي منها الآن ٦٥ جنيهاً . فتكون قيمة السهم الاصلى ١٣٠ جنيهاً بعد ان كانت ٢٠

أمر فطباء الحفرة

اجتمع دلسبس في باريس بأحد الوعاظ المشهور لهم بغزارة المادة وذلاقة اللسان ، فدعاه ليخطب في حفلة افتتاح قنال السويس ويبارك في الوقت نفسه في أعمال الشركة وفي القنال . فحضر الرجل هو وطائفة من اخوانه على نفقة الخديوى اسماعيل باشا وخطب في الحفلة خطبة رنانة . أراد دلسبس أن يكافئ الرجل وفاتحه بالفعل في الامر . فأجابه الخطيب « اللهم ان كانت المكافأة رسماً لشخصك فاني أقبليها بقبول حسن » . فقال دلسبس « ان المكافأة أحسن من هذا . هي حصة من حصص التأسيس أقدمها لك بتمثيلها الاساسى . نعم ان حصة التأسيس هي الآن قصاصة من الورق ليست شيئاً مذكوراً . ولكن اذا كتب الله للشركة النجاح استحوالت هذه الورقة الى كنز » . أبت نفس هذا الرجل أن تتقبل المكافأة . وقد مد الله في عمره فرأى قيمة الورقة التي رفض اخذها بمائتي جنيه قد بلغت بعد ٤٣ سنة ٦٠.٠٠٠ جنيه . فتأمل !

واليك الحديث كما رواه أحد المؤرخين :

"Vous allez parler, lui dit-il, pour nous et de nous. Je ne sais pas ce que vous direz ; mais il est à croire que vous ne casserez pas du

sucre sur nos têtes. C'est en ami que vous traiterez vos amis. En bien puisque le commun proverbe assure que les petits cadeaux entretiennent l'amitié, je vous prierai d'accepter que je vous fasse, moi aussi, un petit cadeau."

— Lequel ? Votre portrait ? J'en serai ravi.

— Non "quelque chose de plus substantiel, Nous avons créé, comme toutes les sociétés similaires, des parts de fondateurs Je vous en offre une, au prix d'émission. Pour le moment, ce n'est qu'une feuille de papier ; mais, peut-être, un jour, et la chose est possible, deviendra-t-elle une fortune."

Par un désintéressement, dont il ne soupçonnait guère, à cette minute là, toute l'étendue et qu'il regretta, l'heure venue, d'en sentir le prix, comme une sottise énorme, Bauer refusa. Et ce papier, qu'il avait écarté de sa main de prélat avec une grandeur d'âme malheureuse, il sut quarante trois années après, qu'il valait un million et demi, simplement."

شهر نوفمبر و دلسبس والقنال

من غريب المصادفات أن يكون شهر نوفمبر هو الشهر الذي تقع فيه كبار الحوادث المتعلقة بدلسبس والقنال . اقرأ واحكم :

١٩ نوفمبر سنة ١٨٠٥ يوم ميلاد دلسبس (وفي هذه السنة ايضاً عين محمد علي والياً على مصر)

١٥ نوفمبر « ١٨٥٢ خطاب دلسبس الى قنصل هولاندا باسكندرية مظهراً

أسفه على رفض عباس باشا والدولة العلية مشروعه حفر القنال

اول نوفمبر « ١٨٥٤ الميعاد الذي عينه سعيد باشا لدلسبس ليحضر الى مصر ويقابله

لأول مرة (بعد موت عباس باشا وبعد فراقهما الطويل)

٧ نوفمبر « ١٨٥٤ وصل دلسبس الى الاسكندرية واستقبله حافظ باشا

ناظر البحرية من قبل سعيد باشا

١٣ نوفمبر « ١٨٥٤ خلا دلسبس بذى الفقار باشا وحدثه في موضوع القنال

١٥ نوفمبر « ١٨٥٤ ظهور قوس قزح في سماء البحيرة متجهاً من الغرب الى

الشرق وقبول سعيد اقتراح دلسبس

- ١٥ نوفمبر » ١٨٥٤ تقرير دلسبس الى سعيد باشا
- ٢٤ نوفمبر » ١٨٥٤ وصول دلسبس الى القاهرة ونزوله ضيفاً على سعيد باشا في المنزل الذي كان مخصصاً لسكنى العلماء الذين رافقوا بونايرت في حملته على مصر
- ٢٥ نوفمبر » ١٨٥٤ حفلة التشريفات بالقاهرة واستقبال سعيد باشا قناصل الدول واطارهم بعزمه على حفر القنال ، وفيها جلس سعيد باشا على ذات الديوان الذي كان يجالساً عليه والده من قبل ومنه قص على دلسبس حكاية مذهبة المالك .
- ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ وقع سعيد باشا على فرمان الامتياز
- ١٨ نوفمبر » ١٨٥٥ وصلت اللجنة الدولية المؤلفة من كبار المهندسين للتحقق من أمر إمكان أو عدم إمكان حفر قنال السويس
- ٢٣ نوفمبر » ١٨٥٥ قدم دلسبس أعضاء لجنة المهندسين الى سعيد باشا واحتفى بهم سعيد احتفاءً عظيماً جداً . ولما قال له دلسبس أنه احتفى بهم احتفاءً بالرؤوس المتوجة - اجابه سعيد : « يجب أن أحتفى بهم كذلك لأن العالم توج رؤوسهم »
- ١٥ نوفمبر » ١٨٥٨ بدء الاكتاب في أسهم شركة القنال
- ١٥ نوفمبر » ١٨٥٩ وهو يوم عيد القديسة أوجيني وفيه اجتمعت أول جمعية عمومية للمساهمين
- ١٥ نوفمبر » ١٨٦٠ وصلت اعمال الحفر الى بحيرة التماسح وجرت المياه وسارت المراكب وعمل مهرجان عظيم حضره دلسبس وأمراء مصر وكبرائها وعلمائها، وخطب دلسبس بالنيابة عن سعيد باشا قائلاً « بالنيابة عن سعيد باشا أمر بدخول مياه البحر الأبيض في بحيرة التماسح » - و١٥ نوفمبر هذا هو عيد الامبراطورة أوجيني زوجة امبراطور فرنسا، وعيد ميلاد توفيق باشا الخديوى (لأنه ولد في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٥٢)

- اول نوفمبر » ١٨٦٩ افتتاح الاوبرا
- ١٥ نوفمبر » ١٨٦٩ فتح القنال واتصال البحر الابيض بالبحر الاحمر
- ١٧ نوفمبر » ١٨٦٩ مهرجان افتتاح قتال السويس . وبدء مريان مدة الامتياز
- ٣٥ نوفمبر » ١٨٧٥ بيع أسهم مصر الى انجلترا
- ١١ نوفمبر » ١٩١٨ عقد الهدنة بين الدول بعد الحرب الكبرى ومبدأ رواج
- القتال بعد الكساد طول الحرب
- ١٦ نوفمبر » ١٩٦٨ انتهاء أجل الامتياز

انجلترا وفتح القنال السويس

كانت انجلترا معادية لمشروع حفر قنال السويس . حاربت المشروع بكل ما كان عندها من دهاء وقوة ومال . حاربت في مصر وفي الاستانة وفي باريس . وسعت لدى الدول جمعاء لا كراه تركيا على عدم الاذن للسويس في حفر القنال . ولم تدخر حيلة من حيلها السياسية لاحباط المشروع الا استعمالها . ولكن عداؤها لم يفدها شيئاً . وقد ندمت فيما بعد وعرفت خطأها وخطأ ماسئتها وخطأ رجال الاعمال ورجال المال فيها . ولم ينفرد في انجلترا كلها لتحجيز المشروع سوى المستر غلادستون . إذ أنه لما سافر دلسبس في سنة ١٨٥٥ الى انجلترا ليستميل الحكومة الانجليزية ويذلل العقبات التي اقيمت في سبيله وجد لورد كلارندن وزير الخارجية معادياً للمشروع على خط مستقيم ومتعصباً ضده تعصباً أعشى . فتركه وقصد مستر غلادستون وبسط له الفكرة فقال له غلادستون (لا تبال بما ستلاقيه من العقبات في بلادى وفي غيرها . استمر في عملك وداوم ولا تتوان . وبسبب ان تنجح سيفرف الانجليز أن قنال السويس نافع جداً لانجلترا لدرجة أنك ستلقى كل تعصيد وتشجيع . وفي انجلترا التي تناوئك العداة الآن سيضعون على رأسك فيما بعد اكاليل المجد والفخار) وقد صدقت فراسته . فان دلسبس بعد أن فتح القنال سافر الى أوروبا فاستقبلته فرنسا استقبالا باهراً جداً ومنحته جميع الدول القاب الشرف . وفي سنة ١٨٧٠ دعت الملكة فكتوريا لزيارة بلادها .

فاستقبله الشعب الانجليزى كما تستقبل الرؤوس المتوجة . وخطب الوزراء فى مجلس
المعوم مادحين عمل دلسيس ورفعوا قدره الى أعلى عليين . ومن ضمن المآدب التى
أقيمت له مأدبة عظيمة جداً أقامها له محافظ لندن فى بهو جيلد هول . وفى آخر الحفلة
قام خطيباً وقال له (سنكتب اسمك فى سجل اسماء اعظم الرجال الذين عادت أعمالهم
على الانسانية بالخير والبركات ولم تلوثها قطرة دم) ومنحه فى ذلك اليوم حق التمتع
بجميع حقوق أبناء مدينة لندن السياسية . ثم دعت الملكة فكتوريا لزيارتها فى قصر
وندسور وكان المستر غلادستون رئيس مجلس الوزراء حاضراً . فأنعمت الملكة على
دلسيس بنجمة الهند من الطبقة الاولى . وكان ابنها ادوارد ولى العهد وقتئذ وأخوه
أرثر حاضرين . فتقدم ولى العهد وقلد دلسيس قلادة نجمة الهند بينما كانت الملكة
فكتوريا تضع يديها على صدره النشان المرحع . ومن ضمن الحفلات الكبرى التى
أقيمت له حفلة فى كريستال بالاس المعبر عنها بسرارى البلور انتهت بالماب نارية
كثيرة متنوعة كان ختامها ظهور اهرام هائلة ملونة بألوان الذهب كتب على أحد
جوانبها باللغة الانجليزية « انجلترا تقدم تهانيتها القلبية الى دلسيس »

ولما احتفل فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٩ بممر ٦٠ عاماً على افتتاح قنال السويس ،
كتب السير هول كاين الكاتب الروائى الانجليزى المشهور يقول - مشيراً الى تهديد
تركيا بتدمير قنال السويس فى أثناء الحرب الكبرى - (لايسمى أن أتصور نكبة أشد
إيذاء للانسانية وأعظم ضرراً بسلام العالم منذ حادثة الطوفان حتى الآن من تدمير
قنال السويس)

دلسيس ولورد بالمستون

فى ٧ يوليو سنة ١٨٥٧ دارت مناقشة حادة فى مجلس النواب الانجليزى بخصوص
حفر قنال السويس وفيها تعرض لورد بالمستون لشخص دلسيس بهبارات جارحة .
واليك سؤال مستر بركلى عضو مجلس النواب الانجليزى وجواب لورد بالمستون كبير
وزراء انجلترا :-

مستر بركلى - اطلب من كبير الوزراء أن يفيدنا عما اذا كانت حكومة جلالة

الملكة تنوى استعمال نفوذها لدى صاحب الجلالة سلطان تركيا ليعضد والى مصر ويصادق على فرمان الذى طلب منه لشق قنال السويس وهو القنال الذى سبق ان منح سعيد باشا امتيازاه الى مسيو فرديناند دلسبس وحبدته مدس هذه البلاد الصناعية والتجارية وموانئها ومرافئها . وان كان لدى الحكومة ما يبرر اعتراضها على حفر القنال فنرجو من كبير الوزراء أن يبين لنا وجوه المعارضة

أورد بالمرستون - « ليس فى وسع حكومة جلالة الملكة أن تستعمل نفوذها لدى السلطان لتفريه على الاذن بشق قنال السويس . لان حكومة جلالة الملكة استعملت ما لديها من نفوذ فى ببحر الخمس عشرة سنة الماضية لاحتياط هذا المشروع - وفى اعتقادى أن هذا المشروع من الوجهة التجارية لا يمكن اعتباره الا من قبيل المشروعات التى يقصد بها السطو على عقول السذج من أرباب الاموال لاغتياال أموالهم . ومن فكرى أن هذا المشروع يستحيل إمكان تنفيذه مادياً اللهم الا اذا أنفقت فى سبيل تنفيذه أموال طائلة جداً لا تتناسب مع الربح الذى يؤمل منه . ومن ينفق ماله فى مثل هذه المشروعات سيرى آماله قد خابت بطريقة مريعة . على أن هذا ليس هو السبب الرئيسى الذى يحمل الحكومة على معارضة هذا المشروع لان الناس أحرار فى استقلال مصالحهم الخاصة كيفما شاؤوا . فاذا ما اندفعوا فى مثل هذه المشروعات الوهمية فهم الذين يتحملون وحدهم عاقبة طيشهم . الا أن المشروع فيه ضرر كبير على مصالح انجلترا وينافى الخطة السياسية التى جرت عليها انجلترا من قديم الزمان بالنسبة الى علاقات مصر بتركيا - تلك السياسة التى أيدناها بقوة السلاح وبأحكام معاهدة باريس . لان الغاية السياسية التى يرمون اليها من شق قنال السويس انما تسهيل فصل مصر عن تركيا وفتح طريق سهل يصلون منه الى أملاكنا فى الهند . ولا يمكننى أن أصرح تصريحاً أجلى من هذا . ان الغاية من شق القنال ظاهرة لكل من يفكر ملياً فى المشروع . وانى مندهش من أن مسيو فرديناند دلسبس يبنى آماله على سداجة ارباب الاموال الانجليز ، ويظن أنه ينجح بنصب فخ لاقتصاص الاموال الانجليزية لتنفيذ مشروع مضاد لمصالح الانجليز أنفسهم بمجرد ما يقوم فى بعض البلاد الانجليزية خطيباً ليستميل اليه السامعين »

وكان مستر روبرت ستيفنسن المهندس احد أعضاء البرلمان حاضراً فانضم الى لورد بالمستون بقوله « أنضم الى ما قاله كبير الوزراء »
وبمجرد وصول جرائد إنجلترا الى فرديناند دلبس في باريس خف فوراً الى لندره وكتب خطاباً شديد الالهجة الى مستر ستيفنسن طلب اليه فيه اما سحب كلامه واما المبارزة . فرد عليه مستر ستيفنسن بتاريخ ٢٨ يولييه سنة ١٨٥٧ بجواب رقيق قال له فيه « حاشا أن أفوه بكلمة تمس كرامتك وكل ما قلته انما تعبير عن عقيدتي في المشروع من حيث هو لاني معتقد أن حفر قناة السويس غير ممكن مادياً »
ولما شاع خبر تهجم لورد بالمستون على كرامة دلبس ورد دلبس ، هبت الجرائد وطغنت في لورد بالمستون وقالت ان تعرض لورد بالمستون لدلبس كان « قلة أدب ووقاحة ليس بعدها وقاحة لا يليق أن تصدر من رجل شريف »

"Les allusions faites à sa personne par Lord Palmerston sont un manque de bienséance, une impertinence sans nom, tout à fait indigne d'un gentleman."

دلبس ولورد ستراتفورد

كان لإنجلترا في الاستانة سفير في غاية الخطرسة والجبروت والاستبداد . وكان له نفوذ كبير على رجال المابين لدرجة أنه كان يولى من يشاء وي عزل من يشاء من كبار الموظفين - وهذا سبب تسميه « بالسلطان ستراتفورد » . وكان من اكبر أعداء مشروع القنال . وبالرغم من كبريائه وجبروته لم يبال دلبس به . وها نص حديث جرى بينهما في دار السفارة

"Monsieur de Lesseps, toutes vos explications sont fort bonnes, et certainement, si vous réussissez, la chose est assez grande et assez belle pour qu'elle vous fasse le plus grand honneur, mais elle ne sera réalisable que dans cent ans. Le moment est inopportun."

Je lui répondis :

"Mylord, si l'affaire est inopportune pour vous qui ne la voulez pas, elle est opportune pour moi qui la veux, et puisque vous avouez, vous même, qu'elle sera utile et qu'elle me fera honneur, pourquoi la renvoyer

à cent ans ? Comme à cette époque je ne pourrais pas la voir faite, et que j'ai une foi complète dans la possibilité de sa prochaine exécution, je suis pressé d'en jouir. Vous-même, vous devriez être encore plus pressé que moi."

وقد ثبت من وثيقة رسمية مؤرخة سنة ١٨٤٠ نشرها مستر اوركارت Urquhart سكرتير أول السفارة البريطانية في الاستانة العلية أن لورد بنسبى Lord Ponsonby سفير إنجلترا لدى الباب العالي كتب الى الصدر الاعظم ما يأتى حرفياً « ان الغاية التي ترمى اليها سياسة إنجلترا والباب العالي يجب أن ترمى الى طرد محمد على وذريته عراة في الصحراء . . . »

"Le but de la politique de l'Angleterre et de la Porte, devait être de renvoyer nus dans le désert Méhémet-Ali et toute sa descendance."

نبوة دلشبس

ذلك أنه كان كتب لمستر كوبردن أحد أعضاء البرلمان الانجليزى (ليستميله الى تعضيد مشروع حفر القنال) « ان مصلحة إنجلترا فى حفر القنال تعادل مصالح الدول جميعها » وقد صدقت نبوته. لان عدد البواخر التي اجتازت القنال فى سنة ١٩٢٨ بلغ ٦٠٨٤ كان منها ٣٣٩٣ انجليزية (أى اكثر من مجموع عدد باواخر الدول جمعاء)

سعيد باشا وعصا

كان سعيد باشا عصاوان . عصا أهداها له دلشبس ، وعصا أهداها له أميرال انجليزى . وكثيراً ما كان يتفق أن يتحدث دلشبس الى سعيد باشا فى أشغال قنال السويس فى حضرة أناس كانوا يكرهون القنال ويحاربون مشروعه . ففى ذات يوم التفت سعيد باشا الى دلشبس وقال له « قد يتفق أحياناً أن تحدثنى فى شؤون القنال فى حضرة أناس قد ينقلون أحاديثنا فى أوقات غير لائقة اضراراً بالمشروع. فلمنع هذا فى المستقبل أوصيك بأن لا تحدثنى فى شؤون القنال كلما وجدت معى عصا الاميرال الانجليزى، ولك أن تحدثنى فى شؤون القنال كيفما تشاء اذا وجدت عصاك فى يدي »

القنال والعمارة الجديدة

اوجد القنال ثلاث مدن كبيرة . بور سعيد والاسماعيلية والسويس . فالاسماعيلية التي أنشئت في سنة ١٨٦٣ إنما وجدت من العدم وقد بلغ عدد سكانها اليوم ٢٥١٩٤ حسب احصاء سنة ١٩٢٧ . أما بور سعيد فبنيت على اطلال مدينة الطينة، وبعد ان كان عدد سكانها قليلا جداً في بداية أعمال حفر القنال، أصبح عدد سكانها الآن ١٠٤٦٠٣ - كذا مدينة السويس قامت على اطلال مدينة القلزم، وبعد ان كان عدد سكانها ٣٠٠٠ نفس أصبح الآن ٤٠٣٠٩

يضاف الى هذه المدن الثلاثة مدينة « بور فؤاد » التي تأسست من سنتين ويدخر لها المستقبل حظ كبير من العمران ، و « بور توفيق » وتكاد تكون ضاحية من ضواحي مدينة السويس ، « و بور ابراهيم » ولم تعمّر طويلا

اسماعيل باشا والقنال

عندما تبوأ اسماعيل باشا عرش مصر أكد للبلد أنه من أكبر أنصار القنال . وقد ورد هذا التأكيد في كتابات دالسبس مرتين . مرة في الخطاب الذي أرسله بتاريخ ١٤ فبراير سنة ١٨٦٣ الى دوق البوفيرا نائب رئيس شركة قنال السويس . ومرة في الخطاب الذي أرسله اليه بتاريخ ١٠ مارس سنة ١٨٦٣ . ففي الخطاب الاول ورد ما يأتي حرفياً : « أنا في مصر القاهرة من منذ ستة أيام . وقد قابلت مرات عدة صاحب السمو اسماعيل باشا وقد أكد لي سموه مراراً أنه لا يكون جديراً بتبوء عرش مصر اذا لم يكن قنالياً ^(١) أكثر مني »

“Je suis depuis six jours au Caire, où j'ai eu de fréquentes entrevues avec S.A. Ismail-Pacha. Ce prince ne cesse de me répéter qu'il ne serait pas digne d'être vice-roi d'Egypte s'il n'était pas plus canaliste que moi-même.”

وفي الخطاب الثاني قال « ان رحلة سمو الخديوي كانت طيبة جداً لنا . ويمكنني أن ألخصها لك بالكلمات التي فاه لي بها سموه عندما ذهبت لتنهئته (لو كنت أنت خديو مصر وفي الوقت رئيس شركة القنال ما كنت استطعت أن تعمل لمصلحة القنال أكثر مني) »

« Le voyage du vice-roi a été excellent pour nous. Je le résume par les propres paroles de Son Altesse, lorsque je suis allé la féliciter: "Vous auriez été vice-roi d'Egypte, en même temps que président de votre Compagnie, que vous n'auriez pas mieux fait les affaires du canal de Suez." »

دلسبس وروتشيلد

ومن الحوادث المستطرفة ان دلسبس كان نصح له أن يستعين بمحل روتشيلد لجمع الاكتسابات. فقصده اليه ذات يوم وأسر اليه أمره وقال أنه يريد أن يجمع ثمانية ملايين من الجنيهات لمشروعه . فتهلل وجه روتشيلد بشراً وقال له (ان خزائن بيت روتشيلد في باريس وفي غير باريس مفتوحة كلها لك ولمن يريد أن يكتب في مشروعه) فشكر له دلسبس قبوله . ولكن قيل أن ينصرف خطر ببال دلسبس أن يسأل روتشيلد ان كان هذا العمل له مقابل أو لا . فأجابه روتشيلد (يظهر أنك لست رجلاً محنكاً في الأعمال المالية . لان العرف جرى على أن تقاضي ٥٪ بصفة عمولة) فبيت دلسبس وقال له (ان ٥٪ على ٨.٠٠٠.٠٠٠ جنيه عبارة عن ٤٠٠.٠٠٠ جنيه ، وأخذ ٤٠٠.٠٠٠ جنيه من أموال المكتتبين لمجرد حضورهم في دهايز البنوك المظلمة لدفع قيمة الاكتتاب شيء لا أرضى به أبداً . أنا أفضل ان استأجر محلاً أدفع إيجاره ٥٠ جنيهًا في الشهر ولا ألجأ الى مصارفك) . فقال له روتشيلد (ان فعلت هذا فان تنجح) فأجابه دلسبس « ساري » . وبعد يومين استأجر دلسبس مكتباً في ميدان فاندوم بباريس فانهاالت عليه الاكتسابات وبلغت اكتسابات القائمة الاولى مبلغاً غلى قيمة ٣٢٠.٠٠٠ سهم وبالنظر للحرب الشمواء التي كانت قد أثارها انجائنا على مشروع دلسبس زادت الحماسة في نفوس الفرنسيين لدرجة عظيمة جداً حتى حملت بعض الفرنسيين على

الاكتتاب بدون أن يعلموا عن موضوع المشروع شيئاً . يحكى أن امرأة عجوزاً شتطاء عوراء عرجاء حضرت لمكتب الاكتتابات وطلبت (الاكتتاب فى مشروع انشاء سكة حديد فى جزيرة السويد) فأجابها العامل بأن المشروع ليس مشروع سكة حديد بل حفر ترعة ، وليس فى جزيرة بل فى برزخ ، وليس محله السويد بل محله السويس . فأجابته المرأة على الفور (ان يكن المشروع حفر ترعة أو مد سكة حديد . فى جزيرة أو فى برزخ . فى السويد أو فى السويس . هذا لا يهمنى . يهمنى أمر واحد فقط . ما دام المشروع يفيظ الانجليز فأنا اكتب)

وحضر قسيس للاكتتاب فسئل عن غرضه فقال (بصفتى فرنساوياً اكتب . لانى اعتبر أن حفر القنال فيه أخذ بالثأر من واقعة واترلو)

سجادة سفير باشا والقنال

كانت فكرة إنشاء القنال راسخة فى نفس سعيد باشا رسوخاً لم تستطع إنجلترا ولا تركيا نزعا ولا زعزعتها منه . وبالرغم من عدم صدور اذن من الباب العالي ينحول سعيد باشا حق اعطاء الامتياز الى دلسبس ، فان سعيد أعطاء له بحجة أن موافقة الباب العالي ليست لازمة ، وان طلبها فمن باب المجاملة فقط

وعندها مثل أمامه مستر جرین قنصل إنجلترا فى ثغر الاسكندرية وكلمه فى أمر الامتياز الذى أعطاء لدلسبس وطلب اليه أن يستنكر المساعى التى يعملها دلسبس باسم سموه ، التفت اليه سعيد باشا وقال له « يظنون فى أوربا أن دلسبس وحده هو صاحب مشروع قنال السويس . وهذا وهم باطل . لآنى أنا صاحب هذا المشروع وأنا الموعز به . أما دلسبس فجميع الاعمال التى عملها حتى الآن انما كانت تنفيذاً لأوامرى . واذا سألتني عن السبب الذى حملنى على ذلك فأجيبك بكل صراحة انه مجرد الرغبة فى أن يكون لحكومتى شرف تولى هذا العمل . وأن أخلد اسمى بتنفيذ هذا العمل العظيم . وفى الوقت نفسه أقوم بخدمة المصالح الحقيقية لسلطنة آل عثمان . وقد اكسبني عملى هذا رضا جميع شعوب أوربا . وأنت تعلم أن معظم الدول الكبرى ترغب فى شق برزخ السويس » فأجابه مستر جرین قائلاً « فلاسمح لى سموك بأن أوجه نظرك الى أنه اذا كانت

فرنسا وبعض الدول قد أظهرت ارتياحها الى هذا المشروع ، فان مجلس وزراء إنجلترا قد أبدى مسخطة جهازاً بناء على أن حفر القنال يضر بمصالح إنجلترا « (١)

فأجابه سعيد باشا « أنا مصمم على أن أداوم السير في الخطة التي اتبعتها حتى الآن وأن أعمل كل ما أستطيع عمله لأعجل تنفيذ هذا المشروع الذي يرغب الكل في تنفيذه »

واليك نص الحديث كما رواه دلسبس نفسه :-

Said Pacha répondit: "C'est à tort qu'en Europe on a attribué à M. de Lesseps seul le percement de l'isthme de Suez, c'est moi qui en suis le promoteur. M. de Lesseps, dans tout ce qu'il a fait jusqu'à ce jour, n'a fait que suivre mes instructions.

"Vous allez sans doute me demander quel est le motif qui m'a déterminé; je vous répondrai franchement que c'est le désir d'honorer mon gouvernement, d'illustrer mon nom et de servir en même temps les véritables intérêts de l'empire Ottoman. Je me suis acquis par ce fait les sympathies de tous les peuples de l'Europe. Vous savez que la plupart des grandes puissances s'intéressent au percement de l'isthme de Suez.

"-Que Votre Altesse, répliqua M.Green, me permette de lui faire observer que si la France et d'autres puissances se sont montrées favorables à ce projet, il a été hautement désapprouvé par le Cabinet Anglais comme étant contraire à ses intérêts.

(١) يقول هذا ١- بالرغم من اجماع اعضاء اللجنة الدولية التي نألفت لفحص مشروع دلسبس على ان مشروع حفر القنال ليس فقط ممكناً بل سهل التنفيذ، ٢- وبالرغم من كون اللجنة مشككة من ١٣ مهندساً من اعظم مهندسي اوربا كان منهم ٣ من الانجليز والباقيون من الفرنسيين والنمساويين والايطاليين والاسبانيين والالمان والهولانديين وقد اشتغلوا ستين كاملتين فيهما درسوا ارض القنال متراً متراً بل شبراً شبراً وانتهوا بالقول بإمكان حفر القنال، ٣- وبالرغم من اتفاق ١٣ مدينة من مدن إنجلترا واسكتلندا على مطالبة حكومة إنجلترا بمساعدة دلسبس ٤- وبالرغم من ظهور كتاب قيم جداً الفه مهندس الانجليزي كبير اسمه James Welch اعلن فيه بإمكان حفر القنال وحض الحكومة الانجليزية بالاسراع في تنفيذ مشروع حفر القنال بما لها بدون اشتراك احد معها .

"Je suis décidé, reprit le Vice-Roi, à persévérer dans la ligne de conduite que j'ai suivie jusqu'ici et à faire tout ce qui dépendra de moi pour accélérer l'exécution d'un projet dont on désire généralement l'exécution."

وداسبس نفسه أعلن مراراً أن الفضل في شق قنال السويس يرجع الى سعيد باشا.
واليك ما قاله حرفياً :

"Quant à moi, je ne regarde pas l'affaire actuelle du canal de Suez comme la mienne: c'est celle du vice-roi d'Egypte d'abord; ce sera ensuite celle de tout le monde."

تركيا ومصر

كانت تركيا ميالة الى معاكسة مشروع قنال السويس لان العلاقات بينها وبين مصر كانت في ذلك الوقت غير مرضية . لان محمد علي باشا كان قاتل السلطان وهزم جيوشه في ثلاث معارك هائلة في سنة ١٨٣٢ و ١٨٣٣ و ١٨٣٩ وكان رابطاً على بعد ستة أيام من الاستانة . وعندما رأت دول أوربا انتصار الجيوش المصرية على الجيوش التركية تدخلت وانتهت الحرب بماهدة كوتاهية المؤرخة ١٤ مارس سنة ١٨٣٣ التي بها بسط محمد علي باشا يده على سوريا وسأخذها من ساطنة آل عثمان . اضمر السلطان سوءاً لمحمد علي وتربص ست سنوات ثم أمر جيوشه بالزحف على سوريا . فلاقى جيوش محمد علي تحت أمرة ابراهيم باشا وهزمتها شر هزيمة حيث أسرت ٩٠٠٠ أسير واستولت على ٢٠٠٠٠ بندقية و ٣٠٠ مدفع وانتهت الحرب الثانية بماهدة سنة ١٨٤١ التي فيها اعترفت تركيا بانحصار الولاية على مصر في ذرية محمد علي باشا وقبل محمد علي أن يرد سوريا الى السلطان . فكانت هذه الظروف وما تلاها قد عكرت العلاقات الودية بين مصر وتركيا . وكانت تركيا تتحفظ دائماً لانتهاز الفرص لمعاكسة مصر . وهذه الظروف هي هي بنفسها التي كانت تتوكل عليها انجائنا للضغط على السلطان ليرفض الاذن بحفر قنال السويس .

نابليون الثالث والقنال

هاج غضب الانجليز عندما علموا أن الامبراطورة أوجيني زوجه نابليون الثالث تشد أزر دلسبس لضمان نجاح مشروع حفر القنال وان فرنسا كلها تؤيد دلسبس بكل قواها . وكان نابليون الثالث يقول لدلسبس كلما شكاه له خور عزيمة رجال السياسة في أوروبا إزاء مشروعه « كن قويا يساعدك الناس وأنا أولهم »

وتركيا في ذاك العهد كانت كلما همت باعطاء دلسبس فرمان الامتياز بحفر القنال تعترضها دسائس انجلترا فتحججهم عن اصدار فرمان . حدث أن مجلس وزراء الدولة عقد في سنة ١٨٥٩ ست عشرة جلسة لبحث مشروع القنال ، فوافق الوزراء جميعاً عليه وأعلنوا أن في حفر القنال مصلحة كبرى لتركيا لأنه يقرب المسافة بينها وبين بلاد العرب والهند . ولكن بالرغم من صدور هذا القرار فان إنجلترا تمكنت بدهائها من احباط مسعى دلسبس لدى الباب العالي فاقف اصدار فرمان . حدث بعد ذلك أن سافر نابليون الثالث في ٣٠ ابريل ١٨٦٥ الى مارسيليا ليبحر منها الى بلاد الجزائر على يخته « النسر » وكان بين رجال السياسة الذين وفدوا على مارسيليا لاستقباله فؤاد باشا الصدر الاعظم الذي تصادف وجوده وقتئذ في جنوب فرنسا للاستشفاء . فكان كلما تقدم للسلام على نابليون الثالث كان نابليون ينثنى عنه ويولى وجهه شطرا الآخرين . عند ذلك دنا فؤاد باشا وسأل الامبراطور ان كان في نفسه شيء يستوجب غضبه عليه أو على حكومته . فالتفت اليه نابليون ورد عليه بكلمة واحدة فقط هي « أين فرمان » . وقد كان وصادر فرمان في ١٩ مارس سنة ١٨٦٦

نجاشي الحبشة ودلسبس

لما اتصل بعلم النجاشي تيكاس ملك الحبشة بأن دلسبس عزم على شق قنال السويس ليوصل البحر الابيض بالبحر الاحمر كتب اليه خطاباً رقيقاً جداً قال له فيه « انى على يقين بأننى لا أستطيع أن أغير العادات الوحشية التى تسربت فى خلال القرون الماضية الى بلاد الحبشة وانهض ببلادى نهضة كبيرة الا عندما يتم وصل

البحر الأبيض بالبحر الأحمر . اذ أنه عندئذ فقط يفتح أمام بلادى باب المدينة الغربية وتتصل بلادى بتجارة أوربا . وكى أطابق أفعالى بأقوالى قد أصدرت أمراً بتحريم التمثيل بالاعداء الذين يقعون جرحى أو موتى فى أثناء الحرب . كما أننى أبطلت تجارة الرقيق فأصبحت هذه التجارة الممقوتة أثراً بعد عين فى جميع بلاد التجارة وسمن وجميع الولايات التى خضعت لبلاد الحبشة حتى البحر الأحمر » الى ان قال « ويمكنك أن تعتمد علىّ فى كل ما يسهل أعمالك لتفوز بوصول البحريين »

مرة الامتياز

— كان أشير على دلسيس أن يطلب من سعيد باشا أن يكون امتياز حفر القنال مؤبداً ولكنه اكتفى بجعل المدة ٩٩ سنة . وكان وزراء الدولة العلية يريدون أن يكون الامتياز لمدة ٦٠ سنة فقط . وقد أرادت تركيا أن تشترط عودة ملكية القنال برمته بعد انتهاء مدة الامتياز الى الدولة العلية لا إلى مصر . ولكن سعيد باشا أجابها بأنه لا يفهم كيف أن رجال الدولة يفرقون بين مصر وتركيا ومصر جزء منها . وبهذه المناورة اللطيفة تقرر عدم النص على هذا الشرط فى عقد امتياز القنال

قوة ارادة دلسيس

اشتد الجفاء بين إنجلترا وفرنسا بسبب مشروع حفر القنال لدرجة توترت فيها العلاقات بين لندرة وباريس ، وخيف أن تعلن الحرب بين فرنسا وإنجلترا . وكانت الامبراطورة اوجينى زوجة نابليون الثالث قد أخذت تحت رعايتها وحمايتها دلسيس ومشروعه . بسبب فرنساوية المشروع من جهة وصلة القرابة التى كانت تربطها بدلسيس (من جهة الام) من جهة أخرى . فكلف نابليون الثالث زوجته الامبراطورة اوجينى بأن تبلغ دلسيس عزمه على وقف المشروع . فكتبت له الكلمة الآتية (ان الامبراطور كلفنى بأن أخبرك بأنه ينبغى أن نترك أمانينا فى المشروع . لان متابعة السير فيه يترتب عليها الحرب بين فرنسا وإنجلترا . فعلى آمالنا وأحلامنا السلام)

"L'Empereur me charge de vous dire qu'il faut renoncer à notre chimère; la poursuivre, ce serait déclencher la guerre entre la France et l'Angleterre. Adieu, notre beau rêve.

وقعت هذه الكلمة في روع دلبس كجذوة نار كادت تحرقه . ولكن قوة ارادة دلبس احتمات هذه الصدمة . فقرر في الحال السفر الى انجلترا وقال لصديقه قنصل هولندا الذي كان قد أخذ يواسيه (سأسافر الى انجلترا بعد عشر دقائق . وسأجتهد في إقناع الانجليز بوجوب فتح هذا الطريق الذي أرادت الطبيعة أن تسده في وجه تجارة العالم . وسأنتقل من بلدة الى بلدة ومن قرية الى قرية وعند الضرورة من دار الى دار وأقوم خطيباً بين آلاف الناس لأثبت لهم ان من مصلحة الانجليز أنفسهم أن يستمعوا لقولي وأن يعضدوني في المشروع وان القتال سيكون سبب ثروتهم وعنوان مجدهم وكفيل سلامة تجارتهم) . وبالفعل سافر دلبس الى انجلترا وانبرى خطيباً في كل ناد وفي كل بلد . حاملاً كُتبه وخرطه وخطبه مطبوعة بعشرات الالوف من النسخ يوزعها على الامراء والكبراء والعلماء . وعلى الشركات المالية والتجارية والصناعية . وعلى جميع الصحف المنتشرة في أنحاء انجلترا واسكتلندا وايرلندا . وخطب ٣٢ خطبة في بحر ٤٥ يوماً في البلاد الثلاثة . وما هي الا فترة من الزمان حتى تحولت أفكار الانجليز من العداء الصرف الى تحييد فتح القتال والاشتراك في نفقات حفر القنال ، حتى ان جريدة التيمس التي كانت معادية المشروع كل العداء اقبلت محبذة له حاثثة على معاضدة دلبس مالياً وأدياً . وانضمت الى التيمس أيضاً شركة الهند وشركة البواخر بنسولار الانجليزية والامير ألبر زوج الملكة فيكتوريا وشارل ديكنسن الكاتب الانجليزي المشهور وكثير غيرهم من أقطاب السياسة ومن رجال المال

سر من أسرار السياسة الانجليزية

في الوقت الذي كانت فيه انجلترا تجارب مشروع القنال بكل قواها كانت تسعى لوضع يدها على القتال من طريق غير مباشرة . ذلك انها بدأت باحتلال بريم (جزيرة محصنة عند مدخل بوزاز باب المندب) بدون اخطار تركيا او مصر . ثم حصلت من الباب العالي - تارة بالوعد واخرى بالوعيد - على امتياز مدسكة حديد الفرات

لتضمن لها طريقاً الى الهند . ولما آتست من الدول شبه اجماع على تهيئة مشروع حفر القنال سميت لدى دلسبس لتستميلد اليها ، فعرضت عليه بواسطة أحد أعوانها ان يمكن انجلترا من الاستيلاء على السويس ليكون لها سلطان على مدخل القنال ووعده في مقابل ذلك بأن تعان حالاً موافقتها على فتح القنال . فرفض دلسبس بكل اباء أن يلوث اسمه بشل هذا التواطؤ فزاد عدااء لورد بالمرستون له وللقنال . وقد كانت هذه المفاتحة عقب وصول تلغراف من لورد اللنبورو Lord Ellenborough حاكم الهند الى حكومة انجلترا يؤكد لها فيه بانه « لضمان سيطرة انجلترا على العالم بأسره يجب أن تثبت قدما لها في الهند واخرى في مصر . »

ومحاولة استئثار انجلترا وحدها بالقنال لها سابقة في أيام محمد علي باشا . اذ انها كانت فاتحت الباب العالي في ذلك والباب العالي استطاع رأى محمد علي باشا . فارسل محمد علي افادة سرية الى الصدر الاعظم يقول له فيها « ان فتح ممر لاوربا للوصول الى الهند عن طريق مصر وسوريا يجب أن يكون باشتراك جميع الامم ولمصلحتها جميعها ولا تستأثر به انجلترا وحدها . لان استئثارها به وحدها فيه خطر كبير على حقوق السلطان »

“Que l'ouverture du passage de l'Europe aux Indes par l'Égypte et la Syrie devait être exécutée au profit et avec le concours de toutes les nations, et ne devait pas constituer un monopole au profit de l'Angleterre seule, monopole qui serait très dangereux pour les droits du Sultan”.

نبوة لامارتين

لامارتين هذا هو شاعر فرنسا المشهور . تولى رئاسة مجلس وزراء فرنسا في عهد محمد علي باشا . حدث ان اثبرت في مجلس نواب فرنسا مسألة محاولة انجلترا الهيمنة على مصر وسوريا بشق طريق لها الى الهند واثارتها نزاعاً بين السلطان ومحمد علي في أثناء المفاوضات التي أعقبت واقعة « نصيين » التي انتصرت فيها الجيوش المصرية على الجيوش التركية . فقام لامارتين وخطب خطبة رنانة في ١١ يناير سنة ١٨٤٠ قال فيها « أن الطبيعة اقوى من ان تقاومها الحزازات الدولية . ستصل اوروبا بالهند بواسطة

السويس رغم انوفكم . كل ما يثرتب على معارضتكم انما تأخير تحقيق نعمة الله الكبرى .
ان العالم القديم والعالم الجديد سيتعتاقان وسينهضان باتصالهما بالقطر المصرى »

“La nature est plus forte que ces misérables antipathies nationales ; l'Europe et les Indes communiqueront en dépit de vous par Suez ; vous n'aurez fait que retarder ce grand bienfait de la Providence ; les deux mondes s'embrasseront et se vivifieront en se touchant par l'Egypte”.

قنال السويس وقنال بناما

عند ما كان البرنس لويس نابليون مسجوناً في قاعة هام بتهمة التآمر على قلب حكومة لويس فيليب ملك فرنسا عكف على درس مسألة شق قنال بناما بفصل أمريكا الشمالية عن أمريكا الجنوبية ، وتسهيل سبل الملاحة بين البحر الاطلانطيقى والبحر الباسفيكى . وقد وضع مذكرة بمشروعه هذا وقدمها لحكومة نيكارجوا . وحكومة نيكارجوا قررت بتاريخ ٨ يناير سنة ١٨٤٦ تفويض البرنس لويس نابليون بتأسيس شركة في أوربا تتولى هذا العمل على أن يسمى القنال الجديد «قنال نابليون» . فطلب البرنس لويس من الحكومة الفرنسية أن تسمح له بالسفر الى أمريكا فرفضت . بعد ذلك شبت ثورة سنة ١٨٤٨ في فرنسا فقلبت نظام الحكومة فيها وانتخب البرنس لويس نابليون رئيساً للجمهورية ثم أمبراطوراً ، فاستوى على عرش فرنسا باسم نابليون الثالث ، وشغلته شواغل الملك عن شق قنال بناما . ومن ذلك العهد اتجهت الافكار الى شق قنال بناما وتألقت شركة أولى تحت رئاسة فرديناند دلسبس ، وبعد ان جمعت أموالاً طائلة فشلت . ثم تولتها شركة أخرى كتب الله لها النجاح وفتح قنال بناما بالفعل فاتصل المحيط الهادى بالمحيط الاطلانطيقى وتيسر لسفن الملاحة أن تنتقل من محيط الى محيط بعبور ٢٥٠ كيلو متراً فقط بعد ان كانت مضطرة الى الطواف حول أمريكا الجنوبية كلها للانتقال من محيط الى محيط

نصيب مصر في قنال السويس

كان لمصر ١٧٦٠٢ سهم من ضمن الـ ٤٠٠٠٠٠ سهم التى تكون منها

رأس مال الشركة . اشتراها سعيد باشا بمبلغ ٨٨٨٢٠٠٠٠ فرنك ذهب عبارة عن ٢٣١ و ٤٢٦ ر ٣ جنيهًا مصريًا . وفي سنة ١٨٧٥ عرضها اسماعيل باشا للبيع لانه كان في أشد حالات الضنك المالى . بدأ اسماعيل باشا بعرضها على فرنسا . فرنسا ترددت . علم بخبر الصفقة مراسل التيمس . فسافر في الحال الى لوندرة وقابل لورد بيكونسفيلد كبير وزراء إنجلترا وكان جالسًا يتعشى مع نفر من أصحابه . ألح مراسل التيمس في مقابلته وقابله بالفعل وبسط له الامر وأقنعه بوجوب شراء نصيب مصر في الحال . فذهب لورد بيكونسفيلد الى روتشيلد وطلب اليه سلفة ٢٠٠٠٠٠٠ ر ٤ جنيه باسم وحساب الحكومة ولم يكن البرلمان قد أجاز الصفقة بعد . ولكن لورد بيكونسفيلد أخذ على عهده باسمه وباسم الحكومة أن يحصل على اذن البرلمان . فتمت الصفقة في اليوم التالى بمبلغ ٢٠٠٠٠٠٠ ر ٤ جنيه . وهى الآن تساوى ٧٢٠٠٠٠٠ ر ٧ جنيه . فخسارة مصر من هذه العملية وحدها بلغ ٦٨٠٠٠٠٠ ر ٦ جنيه . فتأمل

ويرى مستر فارمان قنصل الولايات المتحدة في مصر سابقاً ان هذه الصفقة كانت الضربة القاضية على الخديوى واكبر غلطة مالية و سياسية ارتكبها في حياته . مالية ، لأن اسماعيل باع الاسهم بثمان بخس وتعهد علاوة على ذلك بدفع ٥٪ فوائد سنوية لهذا المبلغ لغاية أول يوليه سنة ١٨٩٤ . أو بعبارة أخرى كانت الحكومة الانجليزية دائنة تسترد مبلغها بالتقسيط بعد ان استولت على أسهم بلغت قيمتها ٢٤٠٠٠٠٠٠ ر ٣ جنيه في سنة ١٨٩٦ ومبلغ ٣٠٠٠٠٠٠٠ ر ٣ جنيه في سنة ١٩١٥ (و ٧٢٠٠٠٠٠٠ ر ٧ جنيه في سنة ١٩٢٩)

وسياسية ، لأن الحكومة الانجليزية أصبحت لما مصلحة مزدوجة ، مالية وسياسية في القناة تمهد السبيل لتدخلها الفعلى في مصر ، في حين أن فرنسا كانت المصالح المالية ذريعتها الوحيدة للتدخل في مصر وبذلك رجحت كفة السياسة الانجليزية

وقد صرح اسماعيل باشا في حديث له مع « بيقى كنجستون » سنة ١٨٧٦ (إننى ما كنت أعتقد قط أن إنجلترا تطمح بشراؤها أسهم قناة السويس وارسالها موظفًا كبيراً لفحص حساباتى الى وضع يدها على مصر)

ليس اسماعيل هو الذى قال عندما جلس على العرش (أريد أن يكون القنال لمصر لا مصر للقنال)

ومن هذا التاريخ أيضاً أصبح لانجلترا كلمة نافذة فى ادارة شؤون قنال السويس .
ألا تذكر أنه بعد واقعة « التل الكبير » واستفحال النفوذ الانجليزى فى مصر طالبت انجلترا من شركة القنال تخفيض رسوم مرور البواخر وتسهيلات أخرى للسفن الانجليزية التى كانت تدفع معظم ايرادات القنال ولما لم تجد أدناً صاغية هددت بحفر قنال آخر يكون انجليزياً صرفاً ولا يكون لفرنسا ولا لغير فرنسا سهم واحد فيه . وعندما وصل الى فرنسا نبأ عزم الحكومة المصرية على منح انجلترا امتياز حفر قنال جديد اضطرت الى الرضوخ ومنحت الانجليز امتيازات وتسهيلات كثيرة

هذا ما كان من أمر ال ١٧٦٦.٠٢ سهماً . الا أنه كان للحكومة المصرية حظ آخر فى القنال . ذلك أنه كان مشروطاً لها ١٥٪ من صافى الارباح . فعندما ارتبكت أحوال مصر المالية فى سنة ١٨٧٩ (وهى السنة التى خلع فيها الخديو اسماعيل باشا) اضطرت الحكومة الى بيع هذا النصيب أيضاً فاشتراه البنك العقارى الفرنساوى فى سنة ١٨٧٩ بمبلغ ٢٢.٠٠٠.٠٠٠ فرنك ذهب - عبارة عن ٨٥٥.٠٠٠ جنيه

أتدري الآن كم يساوى ثمن السهم الواحد من ال ١٧٦٦.٠٢ سهم التى باعها اسماعيل باشا فى سنة ١٧٧٥ وكم بلغت قيمة ال ١٥٪ التى باعتها الحكومة المصرية فى سنة ١٨٧٩ وكم بلغت أرباح الاسهم التى باعها اسماعيل باشا الى انجلترا وكم بلغت أرباح الحصة التى باعتها الحكومة المصرية الى البنك العقارى الفرنساوى ؟

اسماعيل باشا

ان ال ١٧٦٦.٠٢ سهم تساوى الآن ٢٢.٠٠٠.٠٠٠ جنيه^(١) وقد باعها اسماعيل

(١) قدرت الدبلى اكسپريس ثمن هذه الاسهم بمبلغ ٢٢.٠٠٠.٠٠٠ جنيه — واليك ما ورد فى تنغرافات المقطم الخصوصية (ان الحكومة البريطانية اشترت سبعة اجزاء من ستة عشر جزءاً من اسهم شركة القنال . وكانت قيمتها عند شرائها اربعة ملايين جنيه . اما اليوم اى بعد ٦٠ سنة — فان قيمتها تبلغ ٧٢ مليون جنيه)

باشا بمبلغ ٠٠٠.٠٠٠ ر. جنيه فقط . ونصيب مصر في الارباح ١٥ ٪ لا يقل ثلثه الآن
عن ٠٠٠.٠٠٠ ر. جنيه لان مقابل ال ١٥ ٪ يبلغ سنوياً ٠٠٠.٨٦٩ ر. جنيه . فها ٨٧
مليون جنيه طارت من يد مصر بسوء التصرف . اذا أضفت اليها أرباح ال ١٧٦٦٠٢
سهم من سنة ١٨٧٥ حتى الآن وأرباح ال ١٥ ٪ من سنة ١٨٧٩ حتى الآن تصل
الى رقم يأخذ بلبك

حسبت ما ضاع على مصر بسبب بيع ال ١٧٦٦٠٢ سهم فوجدته قد بلغ من
سنة ١٨٧٥ حتى اليوم ٠٠٠.٨٤٠ ر. ١١ جنيه . وما ضاع على مصر بسبب بيع نصيبها
١٥ ٪ فوجدته قد بلغ من سنة ١٨٨٠ حتى اليوم مبلغ ٠٠٠.٧٠٠ ر. ٢٦ جنيه فيكون
مجموع ما خسرتة مصر في هاتين الصفتين من أصل وأرباح ٠٠٠.٨٠٠ ر. ١٣٧٥٤ جنيه .
خف الى هذه الخسارة الهائلة مبلغ ٠٠٠.٧٠٠ ر. من الجنيهات نصيب مصر
في حفر القنال ثم ضم الى هذا وذاك قيمة التعويضات التي حكم بها نابليون الثالث على
الحكومة المصرية للشركة وقدرها ٠٠٠.٣٦٠ ر. ثم نفقات حفلات مهرجان افتتاح
الканал ٠٠٠.١٤٠ ر. جنيه . وسائر النفقات التي استلزمها القنال وحفلاته وثن أراضي
استولت عليها شركة القنال وقيمتها كلها ٠٠٠.٢٤٠ ر. جنيه يكون مجموع خسارة مصر
من هذه الاقلام وحدها ٠٠٠.٨٠٠ ر. ١٥٤٥٤ جنيه

راجعت جدول إيرادات شركة القنال في الثلاثين سنة الماضية من رسوم مرور
البواخر فوجدتها قد بلغت ١٢٧٦ ر. ١٤٧١ ر. ٣٩٠ فرنك ذهب عبارة عن ٠٠٠.١٦٠ ر. جنيه
انجائزى . هذه أرباح الشركة من مرور السفن فقط في ثلاثين سنة . واذا عرفت
أن لشركة قنال السويس امتياز توريد المياه للسويس والاسماعيلية وبور سعيد وبورتوفيق
وبور فؤاد كما لها أيضاً حصة في بيع الاراضى الواقعة في منطقة القنال تجد أن أرباحات
الشركة هائلة جداً . بلغت في سنة ١٩٢٨ وحدها ٠٠٠.١١٣ ر. ١٧٦١ ر. فرنك عبارة عن
٠٠٠.٩٣٣٦ ر. جنيه انكليزى تقريباً وإيراداتها مطردة الزيادة لدرجة فاحشة حتى أن
زيادة إيرادات سنة ١٩٢٧ بلغت وحدها ٠٠٠.٦٥٠ ر. فرنك

ومن المدهش أن حصة التأسيس قسمت الف جزء وبلغ الآن ثلث الجزء الواحد من

الالف جزء ١٩٦٠٠ فرنك فيكون ثمن الحصة الواحدة ٢٠٠٠٠ فرنك تقريباً
بعد ان كان لا يزيد في البداية على ٥٠٠ فرنك . فتأمل

وفي ١٧ نوفمبر سنة ١٩٦٨ ينتهى امتياز شركة القنال ويمود القنال برمته ملكاً
لمصر . مد الله في آجالنا حتى نرى هذا اليوم السعيد

وقد حسب دلبس نفسه أرباح فرنسا من فتح قنال السويس فوجدها قد
بلغت ٥٠٠٠٠٠ فرنك جنيه في ال ١٦ سنة الاولى . فان كان هذا ما ربحته فرنسا
وحدها في ال ١٦ سنة الاولى التي كانت التجارة فيها غير رائجة رواجها الحالي فكم
تكون أرباحات فرنسا وأرباحات إنجلترا من يوم افتتاح القنال حتى الآن . هذا
ما يعجز عن حصره أمهر الحاسبين .

الآن وقد عرفت أن إيرادات قنال السويس تبلغ حوالى ٩٣٣٦٠٠٠ جنيه
في السنة (فاذا احتسبنا رأس المال على قاعدة أن أرباحه تبلغ ٥٪ في السنة تكون قيمة
رأس مال الشركة برمتها ٢٠٠٠٠٠٠٠ جنيه) اذا خصمنا المصروفات ٣٥٤٤٠٠٠
كان صافي الإيراد ٩٠٠٠٠٠٠ فرنك ٧٩٢٠٠٠٠ بواقع ١٠٠ المئة يكون الراسمال ٩٠٠٠٠٠٠٠ فرنك ١٥٠٠٠٠٠ (١)
ولم يبق من أجل امتياز قنال السويس سوى ٣٩ سنة - ٣٩ سنة في حياة الامم ليست شيئاً
مذكوراً . مضى الكثير ولم يبق الا القليل . فهل يصح أن تنهون مصر في حقوقها بعد
أن فرطت فيها يد الاسراف . واذا اكرهت إنجلترا وفرنسا ودول اوربا الحكومة
المصرية على مد أجل الامتياز فكم يعوضونها يا ترى عن ٢٠٠٠٠٠٠٠ جنيه قيمة
الканал بخصمه وأسهمه وأدواته ومهمات ومبانيه وامتيازاته وحقوقه . هذا امر سيبكشف
لنا التاريخ سره

الканал وقتلى الحرب

في ٣ فبراير سنة ١٩١٥ أغار جيش تركى مؤلف من ٤٠٠٠٠ مقاتل تحت قيادة

(١) — وهذا يؤيد تقدير الديلى اكسبريس بأن اسهم مصر بلغت قيمتها الآن
٧٢٠٠٠٠٠٠ جنيه بعد ان كانت ٢٠٠٠٠٠٠ فرنك ٤٠٠٠٠٠٠ جنيه فقط

جمال باشا على ارض مصر . الجناح الايمن تحت أمرة ممتاز بك عهده اليه الهجوم على القنطرة . والجناح الايسر تحت أمرة أشرف بك يبط به غزو السويس . وباقي الجيش تحت قيادة جمال باشا نفسه قصد القنال بين طوسون وسرايوم وحاول اجتيازه في منتصف الساعة الرابعة صباحاً . ولكن الانجليز والفرنساويين بمساعدة البطارية الخامسة المصرية والفرقة الهندية تلقت الجيش التركي بوابل من الرصاص فتك بالهاجرين فتكا ذريعاً فاضطر جمال باشا الى الانسحاب بسرعة بعد ان ترك ١٨٠٠ قتيل و ٣٠٠٠ أسير . أما خسارة الجنود البريطانية فلم تزيد على ١١٥ . ولما انتهت الحرب أقامت شركة قنال السويس على احدى ضفاف بحيرة التمساح نصباً تذكاريّاً ارتفاعة أربعون متراً تخليداً لذكرى الذين دافعوا عن القنال وصدوا الجيش التركي

الشركة والقنال

لوبي القنال على ما كان عليه في بداية حفره ما كانت الفائدة المرجوة منه تناسب مع التكاليف الهائلة التي استلزمها حفره . الا أن الشركة ما فتئت منذ تأسيسها لا تدخر مالا ولا جهداً في ادخال تحسينات واصلاحات عظيمة جداً في القنال . فمن ذلك أن عرض القنال كان في الاصل ٢٢ متراً فوسعته الشركة حتى بلغ ٣٥ متراً في سنة ١٨٩٢ و ٤٥ متراً في سنة ١٩١٢ ولا تزال الاعمال جارية فيه الآن ليبلغ عرضه ٦٠ متراً (أي ثلاثة أضعاف ما كان عليه في بداية انشائه) . هذا بالنسبة الى توسيع عرض القنال . وكذلك أبدت الشركة همّة عظيمة في تعميقه فبعد ان كانت لا تمر في القنال الا البواخر التي حمولتها ٤٥٠٠ طن زادت الحمولة الى ١٨٠٠٠ طن بل رأينا بواخر تزيد حمولتها على ٣٠٠٠٠ طن تمر من القنال

يضاف الى هذا أنه بعد ان كانت الباخرة في سنة ١٨٧٠ تقطع المسافة بين بورسعيد والسويس في ٤٨ ساعة أصبح من الميسور على البواخر أن تقطعها في ١٦ ساعة واذا خصمنا منها الزمن الذي تضطر فيه الى الوقوف أحياناً في أثناء مرورها هبطت المدة الى ١٢ ساعة و ٣٣ دقيقة

كذلك بعد ان كانت الملاحة قاصرة على ساعات النهار أصبحت الملاحة ميسورة ليلاً ونهاراً

القنال وحركة المرور

والذى يحزننى أن لا أرى للبواخر المصرية نصيب فى حركة الملاحة فى القنال . إذ أن عدد البواخر التى اجتازت القنال بلغت فى سنة ١٩٢٨ وحدها ٦٠٨٤ باخرة كان عدد البواخر المصرية منها ٨ فقط والتركى ٢ أما البواخر الانجليزية فكان عددها ٣٣٩٣ تليها البواخر الهولندية وعددها ٦١٨ ثم الالمانية ٦١١ ثم الفرنسية ٣٥٩ ثم الإيطالية ٣٦٣ ثم اليابانية ١٥٨ ثم الاميركية ١٢٣ ثم النرويجية ١٣٩ — وبعد ذلك تأتى البلاد الصغرى بأقل من المائة

أما عدد السياح الذين اجتازوا قنال السويس فهاثل جداً . بلغ عددهم فى سنة ١٩٢٨ - ٣١٧٧١٨ وهم فى الثلاثين سنة الماضية ٨٠٩١٨٠٠ نفساً

واليك جداول ثلاثة تبين لك حركة المرور فى القنال وعدد البواخر وعدد الركاب فى مدى الثلاثين سنة الاخيرة التى تبتدىء من سنة ١٨٩٩ لغاية ١٩٢٨

حركة البواخر

السنة	مرات المرور	الحولة بالطن	ايراد رسم المرور بالفرنك
١٨٩٩	٣ ٦٠٧	٩ ٨٩٥ ٦٣٠	٨٨ ٦٩٨ ٥٥٥
١٩٠٠	٣ ٤٤١	٩ ٧٣٨ ١٥٢	٨٧ ٢٧٨ ٤٨١
١٩٠١	٣ ٦٩٩	١٠ ٨٢٣ ٨٤٠	٩٧ ٠٣٤ ٩٤٤
١٩٠٢	٣ ٧٠٨	١١ ٢٤٨ ٤١٣	١٠١ ٠٢٥ ١٥٨
١٩٠٣	٣ ٧٦١	١١ ٩٠٧ ٢٨٨	١٠٠ ٩٤٢ ٤٢٠
١٩٠٤	٤ ٢٣٧	١٣ ٤٠١ ٨٣٥	١١٣ ١٧٦ ٩٤٧

السنة	مرات المرور	الحولة بالطن	ايراد رسم المرور بالفرنك
١٩٠٥	٤ ١١٦	١٣ ١٣٤ ١٠٥	١١٠ ٦٢٤ ٨٩٣
١٩٠٦	٣ ٩٧٥	١٣ ٤٤٥ ٥٠٤	١٠٣ ٦٩٧ ٨٠٢
١٩٠٧	٤ ٢٦٧	١٤ ٧٢٨ ٤٣٤	١١٢ ٨٠٣ ٣٠٦
١٩٠٨	٣ ٧٩٥	١٣ ٦٣٣ ٢٨٣	١٠٥ ٣٩٦ ٢٠٥
١٩٠٩	٤ ٢٣٩	١٥ ٤٠٧ ٥٢٧	١١٧ ٧٥٤ ٨٨٨
١٩١٠	٤ ٥٣٣	١٦ ٥٨١ ٨٩٨	١٢٧ ٢٠٣ ٢٨٥
١٩١١	٤ ٩٦٩	١٨ ٣٢٤ ٧٩٤	١٣١ ٠٣٥ ٢٣٢
١٩١٢	٥ ٣٧٣	٢٠ ٢٧٥ ١٢٠	١٣٢ ٩٢٩ ٣٤١
١٩١٣	٥ ٠٨٥	٢٠ ٠٣٣ ٨٨٤	١٢٢ ٩٨٩ ٣٦٧
١٩١٤	٤ ٨٠٢	١٩ ٤٠٩ ٤٩٥	١١٧ ٣٠٦ ٦١٢
١٩١٥	٣ ٧٠٨	١٥ ٢٦٦ ١٥٥	٩٠ ٢٨١ ٤٤١
١٩١٦	٣ ١١٠	١٢ ٣٢٥ ٣٤٧	٧٦ ١١٩ ٨٥١
١٩١٧	٢ ٣٥٣	٨ ٣٦٨ ٩١٨	٦١ ٠٧٦ ٤١٨
١٩١٨	٢ ٥٢٢	٩ ٢٥١ ٦٠١	٧٩ ٣٣٩ ٥٤٢
١٩١٩	٣ ٩٨٦	١٦ ٠١٣ ٨٠٢	١٢٦ ٩٦٩ ٩١٥
١٩٢٠	٤ ٠٠٩	١٧ ٥٧٤ ٦٥٧	١٤٤ ٥٩٣ ٨٥٣
١٩٢١	٣ ٩٧٥	١٨ ١١٨ ٩٩٩	١٤٤ ٤٩٢ ٨٠٢
١٩٢٢	٤ ٣٤٥	٢٠ ٧٤٣ ٢٤٥	١٦٢ ٦١٣ ٨٥٠
١٩٢٣	٤ ٦٢١	٢٢ ٧٣٠ ١٦٢	١٧١ ٩٦١ ٦١٣
١٩٢٤	٥ ١٢٢	٢٥ ١٠٩ ٨٨٢	١٨٢ ٥٧١ ٥٨٢
١٩٢٥	٥ ٣٣٧	٢٦ ٧٦١ ٩٣٥	١٨٩ ٤٢٨ ١٥١
١٩٢٦	٤ ٩٨٠	٢٦ ٠٦٠ ٣٧٧	١٨٣ ٨٦٦ ٩٦٩
١٩٢٧	٥ ٥٤٥	٢٨ ٩٦٢ ٠٤٨	٢٠٣ ٩٦٦ ٠٩٨
١٩٢٨	٦ ٠٨٤	٣١ ٩٠٥ ٩٠٢	١٠٥٧ ٥٢١ ٧٧٩

ذهباً

ورقاً

بيانه جنسية البواهر التي امتازت قتال السربى مع بيانه صافى صمونه

الحولة بالطن	مرات المرور	
١٨ ١٢٤ ٠٧٤	٣٣٩٣	بريطانية
٣ ٣٢٩ ٦٢٧	٦١٧	هولندية
٣ ٣٠٠ ٠١٨	٦١١	المانية
١ ٩٢٦ ٩٦٩	٣٥٩	فرنساوية
١ ٦٤٩ ٧٩٢	٣٦٣	ايطالية
٩٤٠ ٠٧٠	١٥٨	يابانية
٧٢٩ ٣٥٣	١٢٣	امريكانية
٦٨٦ ٧٤٩	١٤٩	نرويجية
٣٥٣ ٩٢٨	٧١	دانمركية
٣٠٧ ٣١٦	٦٦	سويدية
٢٨٠ ٠٣٣	٩٠	يونانية
١٦٠ ٠٥٥	٤٠	بلجيكية
٦٧ ٨٢١	٢٠	روسية
١٧ ٨٠١	٦	اسبانية
١٣ ٥٨٦	٨	مصرية
٧ ٧٦٩	٢	فنلندية
٣ ٢٢٦	٢	ارجاوية
٢ ٦٥٨	٢	تركية
٢ ٥٩٤	٢	برتغالية
١ ٣٤٣	١	تشيكوسلوفاكية
١ ١١٩	١	سارواكية
٣١ ٩٠٥ ٩٠٢	٦٠٨٤	

عدد الذين اجتازوا قنال السويس في مدى السنتين سنة الماضية

من سنة ١٨٩٩ لغاية سنة ١٩٢٨

عدد الركاب	الايراد	
١٨٩٩	٢٢١ ٣٣٢	٢ ٢١٣ ٣٢٠
١٩٠٠	٢٨٢ ٥٩١	٢ ٨٢٥ ١٠٧
١٩٠١	٢٧٠ ٢٢١	٢ ٧٠٢ ٢٠٥
١٩٠٢	٢٢٣ ٥١٣	٢ ٢٣٥ ١٢٥
١٩٠٣	١٩٦ ٠ ٢٤	١ ٩٦٠ ٢٤٣
١٩٠٤	٢١٠ ٩٨٠	٢ ١٠٩ ٨٠٥
١٩٠٥	٢٥٢ ٦٩١	٢ ٥٢٦ ٩١٥
١٩٠٦	٣٥٣ ٨٨١	٣ ٥٣٨ ٨٠٧
١٩٠٧	٢٤٣ ٨٢٦	٢ ٤٣٨ ٢٦٥
١٩٠٨	٢١٨ ٩٦٧	٢ ٢٨٩ ٩٧٥
١٩٠٩	٢١٣ ١٢٢	١ ١٣١ ٢٢٠
١٩١٠	٢٣٤ ٣٢٠	٢ ٣٤٣ ٢٠٢
١٩١١	٢٧٥ ٢٥٩	٢ ٧٥٢ ٥٩٥
١٩١٢	٢٦٦ ٤٠٣	٢ ٤٩٦ ٠ ٢٠
١٩١٣	٢٨٢ ٢٣٥	٢ ٦٥٣ ٣٤٠
١٩١٤	٣٩١ ٧٧٢	٣ ٧٣٤ ٥٠٥
١٩١٥	٢١٠ ٥٣٠	٢ ٠٠٤ ٩٩٠
١٩١٦	٢٨٣ ٠٣٠	٢ ٨٠٢ ٢١٠
١٩١٧	١٤٢ ٣١٣	١ ٤١٥ ٤٥٠
١٩١٨	١٠٥ ٩١٤	١ ٠٥٠ ٢٦٥
١٩١٩	٥٢٧ ٥٠٢	٥ ١٦٤ ٤٨٧

السنة	عدد الركاب	الايراد
١٩٢٠	٥٠٠ ١٤٧	٤ ٧٥٠ ٢٤٢
١٩٢١	٢٩٥ ١٩٩	٢ ٧٢٧ ٧٧٨
١٩٢٢	٢٧٥ ٠٣١	٢ ٥٤٨ ٥٩٢
١٩٢٣	٢٤٦ ٣٣١	٢ ٢٧٧ ٨٥٣
١٩٢٤	٢٦٣ ٨٦٩	٢ ٤٥٠ ٣١٢
١٩٢٥	٢٦٩ ٥٢٢	٢ ٤٩١ ٧٨٥
١٩٢٦	٢٨٦ ٤٣٢	٢ ٦٣٩ ٢٣٠
١٩٢٧	٣٤٠ ٣١٨	٣ ١٧٠ ٩١٠ فراك ذهب
١٩٢٨	٣١٧ ٧١٨	١٤ ٢٤٩ ٢٩٦ فراك ورق

أهم مرقى دلسيس

كان دلسيس يعتقد أن النساء قوام نظام كل هيئة اجتماعية وبغيرهن لا يمكن أن تقوم لكل مجتمع أنساني قائمة . ومن أقواله المأثورة (ان المرأة هي الركن الاول لرقى كل هيئة اجتماعية)

حدث أنه كان يتنزه ذات يوم مع محافظ السويس (وكان قد تربى في تركيا) فشكا اليه المحافظ تأخر الترك (حتى من تربى منهم في باريس ولندن وبرلين) عن الاوربيين

وفي أثناء الحديث مرت بنت قنصل انجلترا ممتطية صهوة جواد مطهم . فالتفت دلسيس الى محافظ السويس وقال مبتسما (لا تتم لبلادكم الحضارة ولا تكونوا شعباً متمدناً الا من اليوم الذى تمتطى فيه نساؤكم وبناتكم الجياد ويسرن معكم جنباً لجنب . فى الشرق اعتدتم أن تمشوا على ساق واحدة فقط . وهذا هو سر تأخركم عن أهم الغرب)

وكان دلسبس شجاعاً لدرجة التضحية بأنفس ما عند الانسان : الحياة ، فقد حدث ان الطاعون فشا في نهر الاسكندرية في حى اليهود فضربت الحكومة نطاقاً شديداً عليهم ومنعتهم من الخروج كما حرمت دخول اى شخص كان عندهم . بلغ دلسبس ما يعانيه المطعونون من آلام تفشى الطاعون فيهم وفي نساءهم وبناتهم وأولادهم لدرجة شنيعة جداً فاستدعى اليه طبيين وطلب اليهما أن يرافقاها الى حى اليهود وذهب بالفعل معهما وأراد الدخول فاعترض له ضابط من ضباط البوليس قائلاً (ممنوع الدخول) فأجابه دلسبس على الفور (ولكن بعلم فرنسا أدخل حيث أريد) فقال له الضابط (اذا دخلت فلا تخرج) فأجابه (أنا لا أطلب الا الدخول) ودخل بالفعل فشهد منظرًا من أبشع المناظر شهد الموتى والمرضى بالآلآت وفي حالة من أفظع الحالات ، تنبعث منهم الروائح الكريهة والميكروبات القتالة . فأمر بدفن الموتى ومعالجة المرضى وعزل السليم عن المريض . وبقى يعمل في الحى حتى نجا بمساعده سبعون في المئة من اليهود . بلغ عمله هذا حكومة فرنسا فأعزمت عليه بنيشان لوجيون دونير . وقد مات الطبيبان اللذان كانا معه

وكان دلسبس رجلاً باراً بزوجه وأولاده لدرجة يندر أن توجد في الرجال . تزوج مرتين ، رزق من زوجته الاولى بستة أولاد ومن الثانية بأحد عشر ولداً . وقد سمي واحداً من أولاده باسم اسماعيل تيمناً باسم الحديوى اسماعيل الذى كان له فضل كبير في اتمام مشروع قنال السويس

وكان دلسبس رجلاً قنوعاً لم يحتفظ لنفسه من المئة حصه من حصص التأسيس الا بحصتين فقط ، ورفض طالب ابنه الكبير شارل أن ينحصر بحصه أو بنصف حصه لينتفى عن نفسه مظنة حب الاستئثار بمنافع المشروع مع أنه كان في وسعه أن يحوز لنفسه ولعائلته عشر حصص اذا أراد

يؤيد هذا ما كتبه الى مدام دلامال بتاريخ ٢٢ يناير سنة ١٨٥٥ :

"Alusi, vous le voyez, je ne puis guère être tenté, avec un pareil appât, de livrer mon affaire aux vautours et aux loups cerviers de la finance. Ce n'est pas pour grossir leur caisse que je travaille. Je veux faire une grande chose, sans arrière-pensée, sans intérêt personnel d'argent,

C'est ce qui fait que Dieu m'a permis jusqu'à présent de voir clair et d'éviter les écueils; je serai inébranlable dans cette voie, et, comme personne n'est capable de me faire dévier, j'ai la confiance que je conduirai sûrement ma barque jusqu'au port, que nous pourrons appeler Said, du nom du vice-roi, voulant dire en arabe heureux..

دلبس و معاصره

ها رأی دلبس فی بعض معاصریه :

رأیه فی حلیم باشا

“ Ce jeune Prince parle notre langue avec facilité et élégance. Cavalier et chasseur. . . . Il a la vivacité et les allures d'un français du Midi, avec un accent parisien très pur.”

رأیه فی مصطفى باشا (ابن ابراهیم باشا)

“ Ce Prince est très intelligent et très instruit: il s'exprime en français comme un parisien.”

رأیه فی أحمد باشا (ابن ابراهیم باشا)

“ C'est un homme instruit qui a suivi avec succès les cours de notre Ecole Polytechnique. Il est très entendu, come l'était son père, dans l'administration de ses immenses propriétés et raisonne parfaitement en français sur toutes choses.”

رأیه فی اسماعیل باشا

“ Ismaïl Pacha m'est très sympathique et j'ai été enchanté de son accueil. Il a une figure fine et distinguée, et, il a réellement le sang de Méhémet-Aly. Lorsqu'il ne s'occupera plus autant de ses plaisirs, je crois qu'il se fera connaître utilement. Quoiqu'il n'ait que vingt-cinq ans, il est déjà père d'une douzaine d'enfants. Il a eu, dans sa part de succession, le plus beau palais du Caire, sur le bord du Nil; il y a dépensé pour plus d'un million de francs, en ameublements venus de France.

رأيه في عباس باشا (والى مصر)

" Prince fanatique et ennemi du progrès, que la Providence a fait disparaître au moment où il allait consommer la désorganisation et la ruine de l'Egypte."

رأيه في رشيد باشا الصدر الاعظم

" Le grand-vizir Réchid-Pacha a été renversé. Quel que soit le motif apparent donné à sa chute, il n'est tombé que par la découverte de ses intrigues contre la France dans la question du canal. Voilà, pour commencer notre navigation, un homme d'Etat à la mer; il y en aura peut-être encore d'autres dans la suite."

رأيه في سعيد باشا وفي حرمة المصون في رسالة أرسلها الى مدام ستيفان بك

عقيلة ناظر الخارجية :

" Rien ne pouvait me flatter davantage que de recevoir cette marque de haute estime, de la part d'une princesse connue, non seulement en Egypte, mais encore en Europe, par la distinction de son esprit et de son caractère, et par ses actes de bonté et de charité.

" Ce qui m'a surtout touché, c'est que mes sentiments de dévouement absolu envers le prince qui, depuis son enfance, m'a honoré de son amitié, sont appréciés par la personne qui pouvait le mieux les deviner, car les femmes supérieures ont un instinct, pour ainsi dire, surnaturel pour reconnaître, même sans les avoir vus, les amis ou les ennemis de ceux qu'elles aiment. Leurs vœux les trompent rarement, et il n'y a pas d'homme qui, ayant auprès de lui une conseillère fidèle et désintéressée, n'ait pas eu à regretter quelquefois de n'avoir pas voulu suivre des avis ou respecter des pressentiments que sa vanité l'empêchait d'écouter.

" S.A. le vive-roi a daigné m'entretenir particulièrement, pendant notre voyage au Soudan, de la haute opinion qu'il avait du jugement droit et juste de son auguste épouse. J'ai donc un motif de plus de me réjouir de la confiance qu'elle veut bien avoir dans la sincérité de mon attachement pour un prince, assuré de trouver en moi, dans toute circonstance, la respectueuse et franche affection que lui ont acquise son excellent cœur et sa conduite, j'oserai dire fraternelle, envers moi."

ما قاله في مسألة هابو بوليس

" Nous avons dépassé Abou-Zabel; nous apercevons l'Obélisque d'Héliopolis, la ville du Soleil, où Platon a étudié pendant 17 ans les archives des prêtres égyptiens. C'est à tort que l'on a placé dans cette ville la résidence de Joseph, le fils de Jacob. La dynastie des pasteurs, sous laquelle Joseph est venu en Egypte, régnait à San, près du lac Mensaleh, où le premier Ministre du Pharaon, le Seigneur Putiphar, cumulait ses fonctions avec celles d'eunuque, comme nous le dit l'Écriture, circonstance rendant fort excusables les prévenances de madame Putiphar et rendant plus méritoire la réserve du fils de Jacob."

طالب صر امتياز الشركة

في سنة ١٩١٠ طلبت شركة القنال من الحكومة المصرية مد امتيازها أربعين سنة أخرى بعد سنة ١٩٦٨ والحكومة أحالت الطالب الى الجمعية العمومية وصرحت بأن يكون رأى الجمعية في هذه المسألة قطعياً . فانهقدت الجمعية العمومية في يوم الاربعاء ٩ فبراير ١٩١٠ تحت رئاسة حضرة صاحب الدولة الامير حسين كامل باشا وافتتح سمو الخديوى عباس حلمى الجلسة بالنطق السامى الآتى :-

« أيها السادة

« نهديكم تحياتنا ونبدى لكم سرورنا من اجتماعكم في هذا اليوم
« دعوناكم لأخذ رأيكم في اتمام يراد عقده مع شركة قنال السويس . فان هذه
الشركة قد عرضت على حكومتنا منذ سنة امتداد أجل امتيازها . وبعد المخبرات
الطويلة أمكن الوصول الى المشروع المطروح أمامكم
« وقد علمتم أن حكومتنا مجمعة الرأى على قبوله اذا رضيت الشركة بالتعديلات
التي سبق تبليغها لحضراتكم

« فالغرض اذاً من اجتماعكم انما هو للبحث فيما اذا كان من مصلحتنا مد أجل
الامتياز الى أربعين سنة على شرط اقتسام الارباح في هذه المدة بين الحكومة
والشركة مناصفة

« وفي مقابل اعطاء الشركة نصف الارباح عن المدة الجديدة تدفع للخرينة المصرية مبالغ موزعة على السنتين سنة الباقية تقريباً من مدة الامتياز الحالى »
« وقد قدر هذه القيمة بعد البحث الدقيق أشخاص من ذوى الخبرة الواسعة فى الشؤون المالية وهم يرون أنه اذا حصلت الموافقة على التعديلات المذكورة تكون الفائدة التى تنالها مصر موجبة لتنام الرضا

« ولا يخفاكم أن هذه المسألة ليست من المسائل التى يقضى القانون النظامى بأخذ رأى الجمعية العمومية فيها ولكن نظراً لاهميتها الاستثنائية بالنسبة الى الجيل الحاضر والايال الآتية قرر مجلس النظار أن لا يبت فيها رأياً قبل أن يعلم ان كانت الجمعية العمومية توافق على امتداد الامتياز »
« ونظار حكومتنا مستعدون لاعطائكم كل ما ترونه لازماً فى هذه المسألة من البيانات والايضاحات

« ونحن واثقون ان كل واحد منكم يشعر بالمسؤولية التى يتحملها أمام بلاده عند نظره هذا المشروع المهم

« والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير البلاد »
وها نص مذكرة مجلس النظار الى الجمعية العمومية عن مشروع الاتفاق :
« طلبت شركة قنال السويس من الحكومة امتداد امتيازها

« وبعد المحادثات الطويلة انتهى الامر بتحضير مشروع الاتفاق المرافق لهذه المذكرة وقد عرض هذا الموضوع على مجلس النظار فى جلسته المنعقدة فى يوم الخميس ٢٣ يناير الجارى تحت رئاسة الحاضرة الفخيمة الخديوية فقرر باجماع الآراء وجوب رفضه مادام بشكاه الحالى ولكنه يرى إمكان قبوله اذا أدخلت عليه التعديلات الآتية وهى :

أولاً - الغاء ضمانة الخمسين مليون فرنك الممنوحة للشركة بمقتضى المادة الثانية عن كل سنة من سنة الامتداد وبعبارة أخرى جعل قسمة الارباح من سنة ١٩٦٩ الى سنة ٢٠٠٨ بالمناصفة الكاملة بدون خصم شىء ما تمتاز به الشركة

ثانيًا - حفظ الحق للحكومة في نصف الارباح لا يكون من أول يناير سنة ١٩٦٩ بل يبتدىء من ١٧ نوفمبر سنة ١٦٩٨ الذي هو تاريخ الامتداد

ثالثًا - حذف المادة الثامنة التي تلزم الحكومة بأن تدفع من أول سنة ٢٠٠٩ الذي هو تاريخ نهاية الامتياز معاشات مستخدمي الشركة ومرتبات تقاعدهم واعانتهم وبما أن السبب الوحيد الذي حمل الشركة على قبول دفع التسعين الف جنيه للحكومة حسب نص المادة التاسعة من مشروع الاتفاق هو تكفل الحكومة بصرف معاشات التقاعد فجلس النظار يميل الى التجاوز عن مبلغ التسعين الف جنيه المذكورة ما دامت الحكومة لم تعد مكلفة بهذه النفقات

ومجلس النظار يميل أيضًا بهذه المناسبة الى تسوية المسألة المختصة بطلب الشركة امتلاك الاراضى التي ستتخلف من البحر فى بور سعيد بسبب الاعمال التي ستجرىها على نفقتها وهو لا يوافق على استثمار الشركة بها بل يقبل الاتفاق على تسليم هذه الاراضى الى مصلحة الاملاك المشتركة

فى ٢٨ يناير سنة ١٩١٠ (الامضا) رئيس مجلس النظار

وها مشروع الاتفاق

المادة الاولى

امتياز شركة قنال السويس (الذى كان ميعاد انتهائه فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٦٨ اذا لم تتفق الحكومة المصرية والشركة على اطالة مدته) قد صار امتدادده الى ٣١ ديسمبر سنة ٢٠٠٨

المادة الثانية

تكون قسمة صافى الايراد أو الارباح السنوية باعتبار خمسين فى المائة للحكومة المصرية وخمسين فى المائة للشركة فى المدة التي تبتدىء من أول يناير سنة ١٩٦٩ وتنتهى فى ٣١ ديسمبر سنة ٢٠٠٨ وذلك بمراعاة الشروط الآتية :

أولاً - إذا نقص صافي الأيراد أو الأرباح السنوية في سنة من السنين عن مائة مليون فرنك فتمتاز الشركة بأخذ خمسين مليون فرنك وتأخذ الحكومة المصرية ما يتبقى بعد هذا المبلغ

ثانياً - إذا حدث في إحدى السنين ان كان صافي الأيراد أو الأرباح السنوية معادلاً لخمسين مليون فرنك أو ناقصاً عن هذا المبلغ فيكون كامل هذا الأيراد الصافي أو الأرباح حقاً للشركة ومقاسمة الحكومة للشركة في الأرباح تفضى على الحكومة بأن تتجاوز من أول يناير سنة ١٨٦٩ عن الخمسة عشر في المائة المقررة لها بمقتضى المادة ٦٣ من نظامنة الشركة .

المادة الثالثة

في مقابل امتداد أجل الأمتياز تتعهد الشركة بأن تدفع الى الحكومة المصرية في القاهرة مبلغ أربعة ملايين جنيه مصري (١٠٣٦٩٤٠٠٠ فرنكاً) على أربعة أقساط متساوية القيمة - في ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٠ و ١٥ ديسمبر سنة ١٩١١ و ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٢ و ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٣

المادة الرابعة

وزيادة على ذلك تتعهد الشركة بأن تدفع من أول سنة ١٩٢١ للحكومة المصرية حصة من صافي الأيراد أو الأرباح على النسبة الآتية : -

٤ في المائة من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٣٠

٦ في المائة من سنة ١٩٣١ الى سنة ١٩٤٠

٨ في المائة من سنة ١٩٤١ الى سنة ١٩٥٠

١٠ في المائة من سنة ١٩٥١ الى سنة ١٩٦٠

١٢ في المائة من سنة ١٩٦١ الى سنة ١٩٦٨

ويكون تقدير حصة الحكومة في الأرباح حسب القواعد المتبعة في تقدير ربح المساهمين بدون أي تمييز ويكون دفعها اليها في ذات المواعيد المحددة لدفع ربح المساهمين

أما الشركة المدنية المنتفعة لفاية ١٧ نوفمبر سنة ١٩٦٨ بالخمس عشرة في المائة التي كانت من حقوق الحكومة بمقتضى المادة الثامنة عشرة من عقد الامتياز المؤرخ في ٥ يناير سنة ١٨٥٦ فلا تكون لازمة بشيء مما تتحمله شركة القنال من المنصوص عليه في المادة الثالثة الآتية الذكر وفي هذه المادة

المادة الخامسة

عند تسوية حساب السنين التالية لسنة ١٩٦٨ لأجل تقدير حصة الحكومة في الأرباح على مقتضى المادة الثانية من هذا الاتفاق لا يدخل في هذا الحساب الأفادة أو استهلاك القروض التي تعقد بعد سنة ١٩١٠ لاستعمالها في أعمال تحسين حالة القنال والموانئ الموصلة إليه التي يشرع فيها من ابتداء سنة ١٩١١ ويشترط أن يكون توزيع الفوائد والاستهلاك على أقساط سنوية متساوية عن كامل مدة هذه القروض ويكون تقدير حصة الحكومة حسب القواعد المتبعة في تقدير نصيب المساهمين من الأرباح ما لم تدع الحال لتطبيق القيود المدونة في الفقرة السالفة الذكر ويكون دفعها على كل حال في ذات المواعيد المحددة لذلك

المادة السادسة

حساب الخمسين في المائة التي تخص الحكومة بعد انتهاء مدة الامتياز يكون عن الباقي من رأس مال الشركة بعد رجوع القنال الى الحكومة طبقاً للشروط المدونة في عقد الامتياز المؤرخ في ٥ يناير سنة ١٨٥٦

المادة السابعة

تعترف الشركة بلزوم وجود نائبين عن الحكومة المصرية في مجلس ادارتها من ابتداء سنة ١٩٦٩ نظراً لأهمية حصة الحكومة في ارباح القنال وعلى ذلك قد تقرر من الآن بان يكون للحكومة المصرية بناء على طلبها ثلاثة اعضاء على الاكثر تنتخبهم هي ويقدمهم مجلس الادارة وتعينهم الجمعية العمومية حسب القواعد المتبعة

المادة الثامنة

بناء على طلب الشركة تتكفل الحكومة بسد انتهاء مدة الامتياز بدفع المعاشات والأعانات ومرتببات التقاعد التي يقتضيها تنفيذ اللوائح المتبعة الآن الخاصة بالمستخدمين ورؤساء البوغاز والعمال وقد ساءت الشركة للحكومة صورة من هذه اللوائح

المادة التاسعة

تعهد الشركة بأن تجرى في المستقبل على نفقتها أعمال الحفظ والصيانة والتحسينات التي تراها لازمة لجعل مداخل القنال من جهة السويس في حالة مرضية وتقبل ايضاً ان تتكفل بنفقات أعمال التطوير التي تباشرها الحكومة المصرية في ميناء السويس لتعميق الممر الموصل للقنال بشرط ان لا تتجاوز هذه النفقات ٩٠.٠٠٠ جنيه مصري (٧٠٠.٣٣٣.٣٣٣ فرنكا)

المادة العاشرة

قد صار الاتفاق على ان جميع المقود والاتفاقات التي ابرمت قبل الآن بين الحكومة والشركة تعتبر نصوصها المتعلقة بمدة الامتياز أو نهايته سواء كانت هذه النصوص تشير الى ذلك صريحاً أو ضمناً كأنها منطبقة على مدة الامتياز أو نهايته حسب امتداده في الاتفاق الحالي

المادة الحادية عشر

لا يعتبر هذا الاتفاق نهائياً ولا يكون نافذ المفعول الا بعد مصادقة الجمعية العمومية لمساهمي الشركة

وكان المرحوم حشمت باشا ناظراً للدالية في ذلك العهد والمغفور له سعد زغلول باشا ناظراً للختانية وهو الذي كاف من قبل الحكومة بالدفاع عن مشروع مد امتياز شركة قنال السويس . والجمعية العمومية أحالت المشروع الى لجنة مؤلفة من خمسة عشر عضواً لدرسه وفحصه وتقديم تقرير عنه . واللجنة عقدت عدة جلسات تحت

رئاسة المغفور له محمود سليمان باشا ثم قدمت تقريراً قررت فيه باجماع الاراء رفض المشروع . والجمعية العمومية بجلسة ٧ ابريل سنة ١٩١٠ رفضت المشروع بالاجماع ما عدا حضرة مرقس سميكة بك الذي رأى قبوله مع التمديل وما عدا حضرات النظار وقد بنت اللجنة رفض المشروع على الامور الآتية :-

اولا - ان فيه غيبا فاحشا قدرته بمبلغ ٥٩٨ ر ٠٠٠ ر ١٣٠٠ جنيه

ثانيا - ان المشروع سابق لأونه

ثالثا - ان ليس هناك حاجة الى المال

رابعا - ان ليس هناك ضمانه لحسن استعمال هذا المال فيما يفيد البلاد

وقد اجتهد المغفور له سعد زغلول باشا في تنفيذ الاسباب التي بنت عليها اللجنة رفض المشروع وتحويل اراء اعضاء الجمعية العمومية فلم يوفق وثبت الاعضاء على رأيهم ولم يتحولوا عنه .

عزيز هانكي